



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر  
الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

# جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة

مذكرة تخرج معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في اللغة والأدب العربي - تخصص: علوم اللسان

إشراف الأستاذ:

- محمد عطا الله

إعداد الطالبتين:

- إيمان محبوب

- خديجة بنين

الموسم الجامعي:

1437/1438 هـ الموافق: 2016/2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ  
النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ  
اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۗ﴾

سورة الرعد، الآية 17

# شكر وعرافان

نحني لله عز وجلّ الذي منّ علينا اعترافاً بفضله وشكراً له على نعمه وهو القائل سبحانه:  
﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم الآية: 7).

شكراً طويلاً العمر لكل من علمنا أن طلب العلم مشوار طويل زاده وعدته الصبر خالص الامتثال  
لرسل العلم الآتية إرشاداتهم وتوجيهاتهم عملاً بإيفائهم التبجيل.  
- محمد عطا الله لتأطيره إيانا هذا البحث.

- لخضر سعداني لعونه لنا عبر أطوار الدراسة وتقديمه لنا النصيحة المناسبة في الوقت المناسب.

- فرج عبدالكريم وفاطمة الزهره وميمونه بنين لمساعدتهم الطيبة وتعاونهم المشهود به.

وشكر مميّز وخاص للذي تحمّل معنا عبأ البحث عن المعلومات الأصح والمنهجية الأصوب سواء  
كان من قريب أو بعيد.

الطالبان: إيمان. خديجه.

# إهداء

إلى من ربط طاعته "عز وجل" بطاعتها .....إلى الوالدين الكريمين أطل الله  
عمرهما.

أقول لهم: أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة  
إلى إخوتي وأخواتي .....حفظهم الله ورعاهم وجعلهم ذخرا ومشعلا وأخص منهم  
محمد، زكريا، ميمونه، سعيد.

إلى الذي لن تمحو ذكره السنين وبقي في القلب ساكنا.....عمي الغالي  
رحمه الله.

إلى كل الأهل و الأصدقاء والأحبة وزملاء الدراسة..... صفيه، عفافه، إيمان، هدى.  
ثم إلى كل من علمني حرفاً أصبح سنا برفقه يضيء الطريق أمامي.

بنين خديجه

# إهداء

أهدي هذا البحث إلى من إشتاقته له القلوب محمد ﷺ وآله وصحبه ومن ولاه.  
إلى مستودع الحنان ..... وإلى من عزز في حبه الخير  
إلى من خلق روح التحدي.....الوالدين الكريمين  
إلى شريك حياتي الذي له الفضل بعد الله في مساعدتي ، والوقوف بجانبني أثناء  
دراستي.

إلى أخواتي وأزواجهم ..... وإلى إخوتي وزوجاتهم  
إلى كل الأهل و الأصدقاء والأحبة وزملاء الدراسة.....  
إلى من هم أكرمنا جميعاً  
إلى الشهداء الأبرار الذين نزلت دماؤهم الطاهرة لتسقي تراب فلسطين  
إلى جميع أحبتي من قريب ومعلم وطبيب وجار إلي....  
إلى سائر المسلمين في الأرض، عسى ألا تفوتني من بعضهم دعوة طالحة قد يجيبه الله  
بها عني غاشية العذاب أو يجزييني بها حسن الثواب.....

إيمان

مقدمتہ

خدمة للقرآن كتاب الله المجيد وحرصا على بعض جوانب اعجازه البياني، اجتهد علماء المسلمين بحثا، وتنقيا واستخراجا حتى وضعوا علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع. وكان لعلماء البلاغة باعٌ طويل في دراسته دراسة بلاغية، فعلم البلاغة - حقيقة - من أسمى العلوم مكانة، وأعلى الدراسات قدرا، لأنها تتعلق بأصدق الكلام، كتاب الله سبحانه وتعالى، حيث إنها تبين جمال أسلوب القرآن وتكشف عن درره ومعانيه، كما يعتبر من أهم العلوم التي قامت خدمة للغة العربية، وكانت دراستنا البلاغية في سورة البقرة لما تمتاز بواقعتها ومصادقتها من دون زيادة ولا استطراد، والهدف منه الإصلاح والتوجيه والتربية.

لعلّ البلاغة القرآنية من العلوم التي تشرف دارسو البلاغة العربية بدراستها، وقد تناول كثير من العلماء البلاغة القرآنية، ودرسوها دراسة واعية ليبرهنوا أنّ الإسلام يتميّز بمنهج علمي وتطبيقي يواكب تطورات الحياة، وتبدلات الزمان، وخروج الكلام عن مقتضاه من أهم الوسائل التي استخدمت في القرآن على الرغم من تطورات الحياة لتغذية العقول وتهذيب النفوس، والترويح المنشود فهي تفتح في النفس البشرية مغالق الإلهام، عندما تعايش أنبياء الله ورسله في رحلتهم مع أقوامهم... لتتعلم على أيديهم، فالخروج عن المقتضى في حد ذاته باب من أبواب البيان القرآني العظيم، ومن هنا عنينا في هذا البحث أن تكون دراستنا في جماليات ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر. تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيسي لها وهو معرفة جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وتندرج ضمنه الاهداف الفرعية التالية:

- ترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية.
- إثبات ما تفرد به القرآن من صور ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في جوانبها البلاغية، ودلالاتها في خروج الكلام القرآني عن مقتضى الظاهر.
- القرآن معجزة خالدة على مدى الأزمان والدهور، والدارسات البلاغية القرآنية تعكس هذا الإعجاز على مدى الأيام والعصور، وتصب جلّ الاهتمام لإثبات هذا الإعجاز.
- التركيز على الدراسات المتعلقة بالبلاغة القرآنية.
- إثراء المكتبة العربية بدراسة بلاغية مستقلة عن ظاهرة جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة.

وتكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة في كونها تقود إلى إبراز الإبداع التركيبي للكلام في القرآن بما تمثلت فيه من نكت بيانية، ولذلك جاءت الدراسة بعنوان :

### "جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة"

تعددت أسباب اختيارنا للموضوع، فمنها الذاتي ومنها الموضوعي، نُوردها فيما يلي:

● لقد رغبتنا في دراسة بلاغة القرآن الكريم للحصول على الأجر من الله، ووجدنا أن كلامه

سبحانه منبعاً للبلاغة، فرغبتنا في دراسة جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

في -سورة البقرة-

● قلة الدراسات في هذا المجال - أي خروج الكلام عن مقتضى الظاهر - وبالتالي تأتي هذه

الدراسة لمحاولة الإسهال في هذا المجال.

● وقوفنا على نماذج مدهشة محيرة في آنٍ من هذه الظاهرة شكّلت لدينا علامات استفهام كبيرة

؟؟؟، ثم تراكمت هذه العلامات لتصبح إشكاليةً أثارت فينا حب الاستطلاع وغريزة المعرفة

فجاء اختيار هذا الموضوع في طريق البحث عن دلالات هذه الظاهرة والإجابة عن تلك

التساؤلات والخروج من حمى الجدل.

ومن هنا استدعى اهتمامنا ظاهرة بلاغية تكمن في خروج الكلام عن تعليمات النحو، وترك لما

تقضي به القواعد التركيبية. فهل في الخروج عن أنظمة اللغة بقدر مسموح به غايات تطلب ودلالات

تقصد وجماليات ترصد؟

وللإجابة على السؤال المحوري ارتأينا طرح جملة من الأسئلة الفرعية:

- ما مواطن الخروج عن مقتضى ظاهر الكلام في سورة البقرة؟

- فيما تتمثل صور خروج مقتضى الظاهر في الكلام؟

- ما جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة؟

تبعاً لطبيعة البحث ارتأينا في سبيل تحقيق هذه الغاية أن ننتهج المنهج الاستقرائي

والوصفي التحليلي، حيث يقوم على استقراء نماذج خروج الصور البيانية في سورة البقرة

عن ما تقتضيه الظاهر ووصفها ومن ثم مقارنة هذه النماذج وتحليلها. كما قمنا بحصر

الآيات التي تحتوي على صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ثم عمدنا إلى تصنيفها بحيث

أعطينا كل آية تفسيراً بلاغياً من كتب البلاغة والتفاسير .

ولحل الإشكال طرحنا أسئلة أخرى والتي عملنا على معالجتها من خلال خطة تأخذ بجوانب موضوع البحث بصفة نظنها وافية، إذ قسمناه إلى فصلين مع مقدمة وخاتمة .  
يتضمن الإطار المنهجي للدراسة مقدمة وجميع عناصرها من إشكالية إلى أهمية وأهداف إلى أسباب اختيار الموضوع .....

ويتضمن الفصل الأول المعنون بـ "خروج الكلام عن مقتضى الظاهر": وفيه مفهوم خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وعلاقته بمقتضى الحال، وحالات الخروج بما تحويه من إسناد خبري و مسند إليه وسائر الجملة. ويتضمن الفصل الثاني المعنون بـ الخروج عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة وجمالياتها: تناولنا فيه التعريف بالمدونة، وخروج المسند عن مقتضى الظاهر، وحالات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في المسند إليه وسائر الجملة وذلك كله في سورة البقرة. إذ عملنا على تحليل لبعض المواطن القرآنية التي تمثلت فيها صور الخروج (الالتفات، الأسلوب الحكيم، التغليب، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه، الإظهار موضع الإضمار وعكسه، القلب).

ثم حوصلنا ما توصلنا إليه من نتائج بخاتمة متبوعة بملاحق نمدعمة للموضوع وأخيراً الفهارس التي تجمع وترتب كل ما ورد في البحث بشكل نمطي مرقم يسمح بالعودة للعنصر المرغوب في الاطلاع عليه دون عناء.

لعل الدراسات التي تناولت جوانب البلاغة في القرآن الكريم غنية ووافرة، ولكن لم نجد أي دراسة عن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القرآن الكريم في دراسة واحدة، إلا عن صورة فقط من صورها وهو :

- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة 1998م، في الفصل الثاني من هذه الدراسة يدرس الدكتور حسن ظاهرة الالتفات في ضوء معطيات علم الأسلوب محاولاً الكشف عن وجوه التشابه والتلاقي بين تلك الظاهرة كما تحددت ملامحها الأصلية في التراث البلاغي والظاهرة الأسلوبية من وجهة نظر علم الأسلوب، إذ يعرض ست صور من صور الالتفات هي : الالتفات في الصيغ ، الالتفات في العدد الالتفات في الضمائر، الالتفات في الأدوات ، الالتفات في البناء النحوي ، الالتفات.

- الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة محمد البناي، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في البلاغة العربية والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى 1413هـ، 1414 هـ، حيث تناولت هذه الدراسة تحليلاً لصور الالتفات من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف.

وقد تم الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع من أهمها :  
"البرهان في علوم القرآن" لزرکشي، "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" لعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى .  
وكما اعتمدنا على كتب التفسير التي منها "تفسير الكشاف" لزمخشري ، "التحرير والتنوير" لابن عاشور و "صفوة التفاسير" لصابوني وغيرهم.

إذ لا يخلو أي عمل من بعض الصعوبات، فقد واجهتنا صعوبات عدة، ولكن منة الله الواسعة ورحمته كانت العون الأول لنا في تدليل هذه الصعوبات، وأهم هذه الصعوبات:

● اتساع موضوع الدراسة، وذلك لأن ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر لها صور عديدة، إلا أن طبيعة البحث تقتضي دراسة البعض منها.

● ندرة الدراسات والبحوث على ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القرآن الكريم.

● اختلاف وجهات النظر بين علماء البلاغة في الصور البيانية لموضوعنا هذا.

وأخيراً فهذا جهد متواضع قدمناه للمكتبة العربية، وكلنا أمل أن يحظى بالقبول، نسألك اللهم بهذا الجهد المتواضع أن تُنفع به، وأن يُنفع به أمة المسلمين.

ملخل

**I. البلاغة وعلومها.**

**II. الجماليات "علم الجمال"**

## I-البلاغة وعلومها:

البلاغة علم وفن، نظرية وتطبيق، وكل ما تم ذكره حول تاريخ نشوء البلاغة، ورد في كتب متفرقة دون تخصيص كتاب محدد؛ وكان ذلك منذ بداية الدراسات العربية إلا أنه أول من أفرد له مؤلفاً مستقلاً في هذا العلم هو " عبد الله ابن المعتز (293هـ) ثم تتالت الدراسات المنهجية كنفذ الشعر لقدامه بن جعفر (338هـ)، والنكت في اعجاز القرآن للرماني(384هـ)، ومنه تطورت البلاغة على يد أبي هلال العسكري (390هـ) في كتابة الصناعتين وابن رشيق القيرواني (463هـ) في كتابة العمدة، وهكذا نمت وتحولت الدراسات البلاغية الى نوع من الاحصاء لفنون هذا العلم والتمثيل عليها .

### البلاغة في اللغة:

"من مادة "بلغ" الشيء بلوغاً وصل وانتهى وأبلغه هو ابلاغاً، وأمرٌ بالْعُ، والبلاغة والفصاحة والبلغ البليغ من الرجال، ورجل بليغٌ وبلغ حسن الكلام فصيحة، يبلغ بعبارة لسانه ما في قلبه"<sup>1</sup>. ونستنتج من هذا أن البلاغة هي الوصول والانتهاء .

### أما في الاصطلاح:

"فهي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والاشخاص الذين يخاطبون، والبلاغة مأخوذة من قولهم"<sup>2</sup>. وليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الغائرة ، ولا بد للطالب إلى جانب ذلك من قراءة طرائف الادب، والتملؤ من نميره الفياض، ونقد الاثار الادبية والموازية بينها، وأن يكون له من الثقة بنفسه ما يدفعه إلى الحلم بحسن ما يراه حسناً وبقبح ما يعده قبيحاً.

ف عناصر البلاغة إذا لفظ ومعنى "وتأليف للألفاظ، يمنحها قوة وتأثيراً وحسناً، ثم دقة في اختيار الكلمات و الاساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه، وموضوعاته وحال السامعين والنزعة

<sup>1</sup> ابن منظور " أبو الفضل جمال الدين الإفريقي"، لسان العرب، الدار المصرية، مصر، (د ط)، 2010م، ج10، ص 301، 302.

<sup>2</sup> أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، اسكندرية، (د ط)، (د ت)، ص 28.

النفسية التي تملكهم وتسيطر على نفوسهم، فرب كلمة حسنت في موطن ثم كانت نايبة مستكرهة في غيره"<sup>1</sup>.

والبلاغة علم له قواعده، وفن له أصوله أدواته، كما لكل علم وفن وهو ينقسم بدوره إلى ثلاث أقسام أساسية:

1- علم المعاني

2- علم البيان

3- علم البديع

1- علم المعاني :

"هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفاته بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود واحوال اللفظ العربي التي يعرف بها مقتضى الحال هي : الحذف والذكر والتصريف والانكار والوصل والفصل وما الى ذلك..."<sup>2</sup>.

وأما السكاكي فقد عرفه: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"<sup>3</sup>.

2- علم البيان:

"وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"<sup>4</sup>.

وإيراد المعنى بالدلالات الوضعية غير ممكن، وإنها يمكن بالدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر، وثان وثالث فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى المتعلق به تفاوتت في وضوح الدلالة أو خفائها، بحسب تفاوتها في وضوح التعلق وخفائها.

<sup>1</sup> علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة "البيان، المعاني، البديع"، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1999م، ص 8.

<sup>2</sup> الخطيب القزويني جلال الدين محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003م، ص 4.

<sup>3</sup> أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987م، ص 247.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 161.

والدلالات العقلية ثلاث: دلالة الشيء على جزئه، ودلالة الملزوم على اللازم، ودلالة اللازم المساوي على الملزوم ويعتبر في اللزوم أن يكون مما يثبت العقل، أو اعتقاد المخاطب لعرف أو غيره وكذا في المساواة، وإقامة اللازم المساوي مقام الملزوم على وجه لا ينافي الحقيقة كناية<sup>1</sup>.

### 3- علم البديع:

"هو علم يبحث في طرق تحسين الكلام، وتزيين الالفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي وسمي بديعا لأنه لم يكن معروفا قبل وضعه"<sup>2</sup>.  
والمحسنات البديعية اما راجعة إلى معنى الكلام باشمال المعنى على لطائف مفهومة تحسنه وتكسبه زيادة قبول في ذهن المخاطب وإما راجعة الى لفظ الكلام باشماله على لطائف مسموعة تُوثقهُ وتُوجب له بهجة في سمع السامع.

والمحسنات البديعية كثيرة لا تنحصر عدداً وابتكاراً ويكفي المبتدئ أن يعرف مشهورها من القسمين اللفظي والمعنوي؛ أما المعنوي فمنه التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة انتزاعاً وهمياً حتى تصير الذات الواحدة ذاتين مبالغة لكمال الوصف في تلك الذات كقولهم لي منك صديق حميم ولئن سألت فلانا لتسألن به بحراً، ومن هذا مخاطبة المرء نفسه وأما المحسنات اللفظية، فمنها التجنيس و يسمى الجناس وهو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف المعنى وهو قديم في كلام العرب<sup>3</sup>.

وهكذا استقرت البلاغة عند هذه العلوم الثلاثة ويعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف خير مصدرين لدراسة البلاغة العربية، ذلك أن القرآن الكريم حول أكثر ما تحدث عنه البلاغيون كما أنه كثيراً ما خرج عن تلك التقسمات التي ذكروها فصنع تميزاً خاصاً، كما أن كلام ﷺ في غاية الروعة والبيان فهو في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ودراسة أي فن بلاغي من خلالهما يُمح الدراسة حيوية مستمرة، لأن قيمة البلاغة لا تظهر إلا بالتذوق، وأسرار القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف البلاغية عظيمة لا حدود لها، ومما يثبت ما قلناه أن البلاغة عرفت أسمى مراحل تطورها في ظل دراسة الاعجاز القرآني حيث كانت في أسرار تفوق كلام الله ﷻ على كلام البشر.

<sup>1</sup> ينظر: بدر الدين بن المالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب القاهرة، ط 1، 1989م، ص 29.

<sup>2</sup> - الفزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 4، 5.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، موجز البلاغة، المكتبة العلمية، تونس، ط 1، 1932، ص 45.

## II - الجماليات "علم الجمال" :

### الجمال في اللغة:

"الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمَل. وقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾<sup>1</sup> أي بهاء وحسن وقيل: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق"<sup>2</sup>.

وكما ورد عن الجرجاني: "الجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللفظ"<sup>3</sup>.

الحسن في الأصل للصورة ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الاصل للأفعال والأخلاق والاحوال الظاهرة ثم استعمل في الصورة.

### وفي الاصطلاح:

فقد قدم لنا تراثنا العديد من الرؤى الجمالية في معالجة كثير من قضايا الأدب والفن فالجمال "هو الكمال الذي يمكن أن يدركه أو يدركه موضوع منظور أو مسموع أو متخيل. ثم نُعرف الكمال بأنه ما يطابق هدفاً محدداً، الهدف الذي توخته الطبيعة أو الفن عند خلق الموضوع الذي ينبغي أن يكون كاملاً في نوعه"<sup>4</sup>.

ويقول أبو الريان: "أننا في مجال البحث الجمالي أمام ظاهرة تستعصي على التعريف ما دمنا في مجال الوجدان والشعور لافي مجال العقل والقضايا المنطقية"<sup>5</sup>.

ففي علم الجمال، تشتد الحاجة إلى تقليب النظر في مختلف تصورات الجمال الواحد تلو الآخر وإلى استعراض مختلف وجهات النظر وشتى المقولات التي جرى تطبيقها على الجمال وإلى تحليلها وإلى محاولة استخلاص مفهومها بعد مقابلتها عقلياً بالوقائع والمعطيات التي يجوزتها<sup>6</sup>.

وقد درسوا العرب علم الجمال وكان يتسم بالعمق والاتساع والشمول على ما كان عليه مفكري اليونان الذين اشتهر عندهم مفهوم الجمال بالأسطيقا منذ القدم، وأضحت الجماليات عند العرب هدف العديد من الدراسات الحديثة خاصة من الجانب البلاغي وذلك ليس باعتبارها دلالة على كل

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية 6.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 503.

<sup>3</sup> الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط 1، 1985م، ص 82.

<sup>4</sup> هيغل، المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1988م، ص 92.

<sup>5</sup> محمد أبو الريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجمالية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 75.

<sup>6</sup> هيغل، المدخل إلى علم الجمال، ص 13.

شيء جميل؛ أو أنها لون من ألوان الابداع في الجمال، وإنما باعتبارها منهجا تحليليا لدراسة فنية وبلاغية، يعالج جمالية النص الابداعي كالدقة والجودة والاتقان ونظام التركيب وإيقاع الفاظه وصوره....

وأما الحكم بالجمالية فإنه يظل مرهونا بالتذوق الفردي ورهافة الحس ودقته وسلامته، ما يجعله متحرراً من كل قيد. فالغزالي يرى أن الحواس أداة للإدراك الجمالي، ولكن القلب والعقل أعظم ادراكاً فيقول: "إن الجمال ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الحلقة واقتران البياض بالحمرة.... إن القلب أشد ادراكا من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصورة الظاهرة للإبصار"<sup>1</sup>.

فالجمالية تظهر غالبا مع إبداعات البلاغين في قراءاتهم فقد كانوا يبنون أدبهم ولغتهم بناءً جمالياً يمتد إلى آفاق إنسانية رحبة فما خلفه الأجداد لنا من أساليب فنية وبلاغية إنما يدل على مدى عشقهم للجمال وولعهم بالحسن في كل شيء. وبما أن الأدب لون من الجمال، فهو إذن تنطبق عليه قواعد الجمال العامة.

ومن ابداع صور الجمال التنويع فيه والتنقل من لون إلى آخر منه، أما الثبات والتكرار للصورة الواحدة في كل الأوقات فهو ممل للنفوس مهما كانت هذه الصورة جميلة. وكذلك حال الأفكار وأساليب عرضها الأدبي، ومثل شجرة الورد المتكررة على رأس كل مسافة أو على الزوايا، كقوله في الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ في سورة الرحمن عروس القرآن، لكنها صورة قدّمت لوناً من ألوان الجمال الأدبي ومثالاً من أمثله، قلما يوجد في سائر القرآن نظير مطابق لها، بل فيه ألوان أخرى.

وتكتمل عناصر الكمال والجمال الأدبي من توافر الأركان الأساسية للكلام البليغ كالتزامه بقواعد اللغة وضوابطها في مفرداتها وتراكيب جملها، كذلك خلوه من التعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي. وبعد توافر هذه الأركان الأساسية توجد عناصر كثيرة تكسب الكلام ارتقاءً أدبيا وتعطيه جمالا إبداعا ورونقا وحياء، وقدرة على التأثير والهيمنة على النفوس والأفكار والقلوب.

وبمقدار ما يمكن أن يجتمع في الكلام من هذه العناصر، متلائمة غير متنافرة، متوائمة غير متشاكسة، متحاببة غير متباغضة، مطابقة لمقتضى حال المخاطب، يكون تسامي الكلام في سلم

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 115.

الكمال الأدبي الرفيع، الذي يحتل قمته لدى التحليل المجهرى الدقيق كلام الله المعجز ثم يأتي من دونه  
كلام الناس، مع المسافات الشاسعات بينة وبين قمة كلام الناس<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط 1، 1996م، ص 24.

# الفصل الأول

## الفصل الأول: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

I. مفهومه وعلاقته بمقتضى الحال.

II. حالات الخروج.

أولاً: ما يخص الإسناد الخبري - الخروج عن أضرب الخبر -

ثانياً: ما يخص المسند إليه وسائر الجملة.

## I- مفهوم خروج الكلام عن المقتضى الظاهر وعلاقته بمقتضى الحال :

إن أهم ما يميز البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، حيث عرفت هذه القاعدة على امتداد التاريخ، ففي صحيفة بشر بن المعتمر والتي نقلها عنه الجاحظ نجد أكثر ما يؤكد عليه هو المطابقة، فحول هذا يقول: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة على موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال".

ثم أضاف قائلاً: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"<sup>1</sup>.

ومن هنا نجد عبارة "لكل مقام مقال" فالبلغاء أدركوا شدة الارتباط بين المقام والمقال، فجعلوا ذلك من أساسيات الفصاحة، قال تمام حسان: "ولكن البلغاء في إطار شكلية البلاغة ربما فطنة إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب التي يتكلمها وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلاً منها مقاما"<sup>2</sup>.

ومعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال هو كون الكلام مطابقاً للحالة التي يتحدث عنها ومناسبا للموقف الذي يتحدث فيه، وقد اهتم العرب بذلك منذ القديم وقال النحاة والبلغاء إن خير الكلام ما كان مطابقاً لمقتضى الحال<sup>3</sup>.

"كما أن - فكرة المقام - هذه هي المركز التي يدور حول على الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"<sup>4</sup>.

ويتداخل مع مصطلح المقام مصطلحين آخرين هما السياق الحال، فهي في العموم واحدة، ولكل واحد خصيصة تحتص بها.

<sup>1</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د ط)، 2001م، ص 91، 92.

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998م، ص 337.

<sup>3</sup> ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1996م، ص 642.

<sup>4</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.

فمقامات الكلام متنوعة، حيث أنه لكل مقام مقال، فمقام الحزن يعاكس مقام الفرح وهو ما يسمى مقتضى الحال، ويتدخل السياق الذي تقال فيه اللفظة؛ أو النكتة، حيث يلعب السياق الكلامي دوراً مهماً في تأدية الكلام حسب المقامات، ويتنوع بتنوع المقام والحال. ومن هنا يمكن القول أن المقام يرادف معنى مقتضى الحال، وكلاهما مرتبطان بالسياق، فالمتكلم يحاول أن يراعي المقام أو مقتضى الحال بحسن استعماله السياق، فيكون بذلك السياق عاكساً لمقتضى الحال أو المقام<sup>1</sup>.

تنتقل للحديث عن مصطلحين بلاغيين آخرين هما: مقتضى الظاهر، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر وعلاقتها بمقتضى الحال.

"فمقتضى الظاهر هو أن يكون الكلام مطابقاً للواقع أو أن تؤدي الجملة والعبارات المعنى الذي تحمله الألفاظ أي ليس فيها تأويل وتوجيه غير ما تدل عليه الكلمات أو الكلام في الظاهر"<sup>2</sup>. حيث أن تخريج الكلام على وفق مقتضى الظاهر هو الإتيان بالكلام مصوراً تطابق الحال؛ كأن يؤتى بالكلام خلواً من التأكيد حين يكون المخاطب خالي الذهن فعلياً، فيقال مثلاً: "محمد صادق" أو يؤتى به مؤكداً مؤكداً واحد حين يكون المخاطب متردداً في الحكم شاكاً فيه فعلياً فيقال: "لمحمد صادق" أو يؤتى به مؤكداً بأكثر من مؤكداً حين يكون المخاطب منكراً للحكم فعلياً، فيقال مثلاً: "إن محمد الصادق".

"هذا التطابق بين صورة الكلام، أو كيفية المخصوصة، وبين ظاهر الحال المخاطب وواقعه النفسي يسمى تخريجاً للكلام على وفق مقتضى الظاهر"<sup>3</sup>.

حيث أن البلاغة في الكلام لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه (مفردتها ومركبها) وحال الخطاب "ويسمى بالمقام" هو الأصل الحاصل للمتكلم على أن تورد عليها العبارة مثلاً- المدح حال يدعو لا يراد العبارة على صورة الاطناب، وذكاء المخاطب- حال يدعو لا يرادها على صورة الايجاز. فكل من المدح والذكاء "حال ومقام" وكل من الإطناب والإيجاز "مقتضى". وإيراد الكلام على صورة الاطناب أو الايجاز "مطابقة للمقتضى".

<sup>1</sup> ينظر: صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2002م، ص52.

<sup>2</sup> أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص297.

<sup>3</sup> عيسى على العاكوب، وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة "المعاني، البيان، البديع"، الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، (د ط)،

فمثلا الوعيد والزجل والتهديد مقام يقتضى كون الكلام فيه فخما وجزلا والشارة بالوعيد واستحلاب المودة مقام يتطلبه رقيق الكلام، تعلم أن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال وأن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر وهذا بالطبع هو الأصل .  
والعكس بالنسبة للخروج عن مقتضى الظاهر فالعبارات، والالفاظ فيه تحمل تأويلا وتوجيها غير ما تدل عليه الكلمات في الظاهر .

فما يميز الخروج عن مقتضى الظاهر هو كلمة التأويل والتي تغيب في مقتضى الحال والمتعلم، بحيث أن السياق يقترب من المفهومين - مقتضى الحال - وخروج عن الظاهر. فالمتكلم يحاول فيه أن يطابق المقام، فيلجأ لوسائل لتحقيق عرضه ومن بينها مطابقة الكلام لمقتضى الظاهر وقد يستخدم في السياق تأويلات تخرجه عن مقتضى الظاهر.

من هنا كان مفهوم مقتضى الحال عام يقتضي لتحقيقه كل من موافقه الكلام لمقتضى الظاهر وخروجه عن ذلك.

قد درس علماء البلاغة ضمن تتبعهم لموضوعات علم المعاني ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لداع من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، كما فيها من عناصر فنية إبداعية<sup>1</sup>، واعلم أن البلغاء يتفننون في كلامهم فيأتون فيه بما لا يجري على الظاهر الشائع بين أهل البلاغة، يقصدون بذلك التلميح والتحسين أو يعتمدون في نكت خفية يقتضيها الحال ولا يتفطن لها السامع لو لم يلق إليه ما يخالف ظاهر الحال.

فلا ينبغي أن يعد في خلاف مقتضى الظاهر ما كان ناشئا عن اختلاف الدواعي والنكت مع وضوح الاختلاف كالوصل في مقام الفصل وعكسه لدفع الإيهام، ولا الاطناب في مقام الإيجاز لإستصغاء السامع، لظهور نكتة ذلك، وكذا لا يعد ما كان ناشئا عن علاقة مجازية كاستعمال الخبر في الانشاء ولا ما كان ناشئا عن تنزيل الشيء منزله غيره مع وضوح لأنه من المجاز كالقصر الادعائي وكعكس التشبيه، فتعين أن يوضع ذلك و نظائره في مواضع من أبوابه وإن كان فيه رائحة من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من حيث أن الأصل خلافه وأن الذهن لا ينصرف إليه ابتداء وانما يعد من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ما لم يكن ناشئا عن نكتة أصلا وهذا لا يوصف بموافقة مقتضى الحال ولا بمخالفته، وكذا يعد منه ما كان ناشئا عن نكتة خفية لا يتبادر للسامع إدراكها بسهولة وهذا يوصف بأنه مقتضى حال لكنه خفي غير ظاهر<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص478.

<sup>2</sup> ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، موجز البلاغة، ص43،42.

أن النسبة بين مقتضى الظاهر ومقتضى الحال العموم والخصوص الوجهي فيكون بين نقضيهما وهما على خلاف مقتضى الظاهر وخلاف مقتضى الحال نسبة التباين الجزئي ومن العلماء من جعل مقتضى الظاهر نوعاً من مقتضى الحل وقال أن مقتضى الحال قد يكون مقتضى ظاهر وقد يكون غير مقتضى الظاهر فتكون النسبة بين المقتضيين وبين خلاف المقتضيين العموم والخصوص مطلقاً وهو اصطلاح والأول أولى.

والأصل في الكلام أن يكون مطابقاً لمقتضى الظاهر، ولكن قد يخالف هذا الأصل، وتلك المخالفة لا تكون إلا لأغراض ومقاصد يقصد إليها البلاغي و يقتضيهما المقام<sup>1</sup>، "وينبغي أن تعلم أن هذه المخالفة إنما هي لظاهر الحال، فالكلام وإن خالف ما يقتضيه الظاهر فإنه قد وافق ما يقتضيه المعنى ويتطلبه ولا يظهر ذلك إلا لمن سبل اغوار المعاني وتغلغل بفكره في اعماق التراكيب، فهو الذي يتجلى له ما وراء مخالفة الظاهر من أسرار ومزايا وأهداف يقصد إلى تحقيقها"<sup>2</sup>.

ونجد أن البالغين يذكرون كثيراً هذه المصلحات -مقتضى الظاهر والخروج عن مقتضى الظاهر- ويذكرون صوراً كثيرة لخروج الكلام عن مقتضى ظاهره، ولكن بطريقة مبعثرة يتعذر على الباحث حصرها، واستخدامهم هذا المصطلح أكثر ما يكون في حديثهم عن علم المعاني، حيث أنهم يجعلون الأغراض البلاغية التي يخرج عنها الكلام عن قاعدته المعروفة خروجاً عن الظاهر.

ففي موضوع الخبر مثلاً يجعلون له غرضين هما: فائدة الخبر ولازم الفائدة، وهذا عندهم مقتضى الظاهر، ثم يذكرون الأغراض البلاغية الأخرى للخبر والتي تفهم من سياقه منها الفخر المدح الاسترحام، التحسر..... ويجعلونها خروجاً عن مقتضى الظاهر، والخبر ثلاثة أضرب: ابتدائي -طلبي - إنكاري. وما اختلف عن هذا فهو خروج عن مقتضى الظاهر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، (د ط)، 1406هـ، ج1، ص257.

<sup>2</sup> بسيوني عبد الفتاح فيود، من بلاغة النظم القرآني، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، (د ط)، 1997م، ص132.

<sup>3</sup> محمد أحمد نخلة، في البلاغة العربية "علم المعاني"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د ط)، 2002م، ص44.

## II- صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر :

صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كثيرة منها ما يخص الاسناد الخبري، ومنها ما يخص المسند إليه والمسند وكامل اجزاء الجملة.

أولاً: ما يخص الاسناد الخبري (الخروج عن أضرب الخبر):

الخبر: هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، باعتبار كونه مجرد كلام، دون النظر الى قائله، ودون النظر إلى كونه مقترناً بما يدل على إثباته حتماً، أو نفيه حتماً.

والخبر هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تلفظ) لأن نفع العلم امرٌ حاصلٌ في الحقيقة والواقع، وإنما تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع وهدت اليه العقول بدون نظر الى اثبات جديد، ويدخل فيه الوعد والوعيد، لأنهما خبران عما سيفعله صاحب الوعد والوعيد.

نحو: بعث الله محمد رسولاً، سيأتي الدجال في آخر الزمان. الكافرون لهم عذاب اليم والمراد بصفة الخبر، هو ما كان من الكلام مطابقاً للواقع في حقيقة الامر.

والخبر الكاذب، أو الخبر الكذب، هو ما كان من الكلام غير مطابق للواقع في حقيقة الامر .

حيث أن هناك فرق بين الخبر والمخبر به ألا و هي: أن المخبر الصادق فهو المخبر بخبر يدعى أنه صادق فيه، وهو يعتقد أنه حق وصدق، ولو كان ما أخبر به كذباً غير مطابق للواقع في حقيقة الامر. وحين ينفي الحق وهو يعتقد صحة ما يقول فإنه يُسمى نافياً ولا يُسمى جاحداً للحق، إذ هو يقول ما يعتقد<sup>1</sup>.

أما المخبر الكاذب فهو المخبر بخبر يدعى أنه صادق فيه، وهو يعتقد أنه باطل وكذب، ولو كان ما أخبر به صادقا مطابقا للواقع في حقيقة الامر، و نفيهُ للحق يسمى جَحْداً وُجْحوداً، فالذي ينفي أمراً وهو يرى أنه امر ثابت هو جاحد ، ويقال له ناف بمقتضى الاطلاق العام .

فالمناق الذي يقول بلسانه: محمد رسول الله " هو كاذب في قوله، لأنه يقول خلاف ما يعتقد و كلامه حق وصدق، لأنه مطابق للواقع، وقد دلنا الله عز وجل على هذا التفريق في قوله: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص172، 171. وينظر: أحمد الهاشمي، جواهر

لكاذبون<sup>1</sup> ، وبهذا التفريق بين الخبر والمخبر به تنحل إشكالات موجهة على التعاريف التي ذكرت للصدق والكذب<sup>2</sup>.

تحدث البلاغيون عن الخبر وقسموه إلى ثلاثة أضرب، سمو الأول ابتدائياً، والثاني طلبياً والثالث إنكارياً، ويعد المبرد (285هـ) أول من أشار إلى هذه الأقسام، ومعنى كون الخبر ابتدائياً هو كونه خالياً من أي مؤكّدات، أما الطلبي من احتوى على مؤكّد واحد، والإنكاري ما احتوى على مؤكّدين أو أكثر، وعلى المتكلم أن يكون عالماً بأحوال المخاطبين، خبيراً بنفسياتهم لكي يعرف أي الأقسام يستعمل، فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ألقى الكلام عليه من غير تأكيد، وإذا كان المخاطب متردداً في إسناد أحد الطرفين إلى الآخر ألقى إليه الكلام مؤكداً بمؤكّد واحد، وإن كان المخاطب منكراً للحكم وجب توكيد الخبر له حسب إنكاره بمؤكّد أو أكثر<sup>3</sup>.

ولكن قد يقتضي المقام أن يقتض المتكلم حالاً في المخاطب غير حاله الحقيقة التي هو عليها فينزل خالي الذهن منزله المتردد أو المنكر، وينزل المنكر منزلة غير المنكر، وذلك لا يكون إلا لإسرار يلتقي إليها المتكلم ويعيها البصير بلطائف هذه اللغة ودقائقها. فعندما تكون الجمل المتقدمة في سياق الكلام متضمنة ما يشير إلى الخبر ويلوح به ويومئ إليه فإنها تثير في النفس المتلقية تساؤلاً يجعلها تتطلع وتتشف إلى معرفة الخبر والوقوف عليه<sup>4</sup>.

وهذا خروج عن مقتضى الظاهر، وهو على ثلاثة أقسام :

### 1-تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر:

وذلك لا يكون إلا لأسرار يلتفت إليها المتكلم ويعيها البصير بلطائف هذه ودقائقها ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الْذِّينِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>5</sup>. تخاطب الآية نوحاً عليه السلام، ونوح خالي الذهن من الحكم الخاص بالظلمين وكان مقتضى الظاهر أن يلقي إليه الخبر غير مؤكّد.

"والآية جاءت بالتوكيد، وذلك لأن الله تعالى عندما نهي نوحاً عن مخاطبته في شأن مخالفه دفعه ذلك إلى التطلع إلى ما سيصيبهم، فنزل لذلك منزلة السائل المتردد، فأجيب بقوله إنهم مغرّقون"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سورة المنافقون، الآية 1.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الرحمن حسن حبكة المبدائي، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، 172. وينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة،

<sup>3</sup> ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 28-30.

<sup>4</sup> بسيوني، علم المعاني، ج 1، ص 43.

<sup>5</sup> سورة هود، الآية 37.

"يتم تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد الشاك إذا تقدم في الكلام إلى حكم الخبر ومضمونه وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض"<sup>2</sup>.

## 2- تنزيل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾<sup>3</sup>، فالمخاطبون بهذه الآية الكريمة لا ينكرون حقيقة الموت بالنسبة للإنسان، وأنه مهما طال أجله فإنه مصيره إلى الموت والفناء، وعلى ما يقتضيه الظاهر كان يجب أن يلقي الكلام خاليا من التأكيد، لكننا مع ذلك نرى أن الكلام قد خرج عن مقتضى الظاهر والقي إليهم مؤكداً، فما السبب في ذلك؟.

السبب ظهور أمارات الانكار عليهم، فإن نسيانهم للموت وتكالبهم على مطالب العيش كأنهم مخلدون أبداً، وعدم بذلهم في الحياة الدنيا ما ينفعهم في الآخرة، كل هذه بوادر منهم تدل على إنكارهم لحقيقة الموت، ومن أجل ذلك نزلوا منزلة المنكرين، وألقي الخبر إليهم مؤكداً بمؤكدين هما (إن) و(لام الابتداء).

ومثال ذلك أيضاً قولك لمن يعق والديه ولا يطيعهما. (إن بر الوالدين لواجب)، فالمخاطب بهذا الكلام لا ينكر أن بر الوالدين واجب ولا يداخله شك في ذلك. وكان مقتضى الظاهر أن يلقي إليه الخبر غير مؤكداً، ولكن عقوقه لوالديه، وغلظته في معاملتهما، وعدم إطاعتها، كل ذلك أعتبر من علامات الإنكار، ولذلك نزل الجاحد المنكر وألقي الخبر إليه مؤكداً بمؤكدين وجوباً<sup>4</sup>.

## 3- تنزيل المنكر منزلة غير المنكر:

"إن كان لديه شواهد وأدلة لو تأملها لعدل عن إنكاره وأقلع عن جحوده وتكذيبه"<sup>5</sup>.  
فالمنكر أحياناً حين لا يكون له وجه حق في انكار كجحد آيات وبراهين محققة واضحة. لا ليس فيها ولا غموض - إنما يسره ويرضى عناده أن يسوق إليه المخاطب كلامه مطرزا بأساليب التوكيد وما ذلك إلا لاعتقاده جهلاً بوجهة إنكاره، وصوابية ما هو عليه، و مثل هذا النوع من البشر يحسن

<sup>1</sup> محمد أحمد القاسم محي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003م، ج1، ص280.

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية " البديع والبيان والمعاني"، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 2009م، ج1، ص58.

<sup>3</sup> سورة المؤمنون، الآية 15.

<sup>4</sup> ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية البديع والبيان والمعاني، ص 58،59.

<sup>5</sup> بسيوني، علم المعاني، ج1، ص46.

معه أن نزله منزلة غير المنكر، و أن يساق الكلام إليه على ما هو عليه من حقيقة في غير توكيد، وبكل هدوء وثقة<sup>1</sup>.

وخير مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>2</sup>، فالمولى سبحانه يؤتي الآية بأسمائه الحسنی في غير توكيد "وهو خير منكور عند الجاحدين، ولكن القرآن الكريم لم يعبا بهذا الانكار، وساق الحقيقة الضخمة في هذا الهدوء الواثق الحكيم"<sup>3</sup>.

وقد أضاف حبنكة الميداني في كتابه البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها تنزيل رابع وهو أن يتنزل العالم بفائدة الخبر ويلزم فائدته منزلة الجاهل بالخبر، وذلك لأنه غير عامل بمقتضى علمه فيقدم له الخبر كما يقدم للجاهلين به.

فمن الامثلة على هذه الصورة المواعظ التي تُقدم على السنة الوعاظ للعاملين بها، تنزيلاً لهم منزلة الجاهلين بها، لأنهم لا يعملون بمقتضى ما يعملون، ويسمى هذا تذكيراً، أو تنبيهاً للمخاطبين من غفلاتهم<sup>4</sup>.

ومما اجتمع فيه تنزيل غير المنكر منزلة المنكر وتنزيلاً المنكر منزلة غير المنكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾<sup>5</sup>.

أكد إثبات الموت تأكيدات وأن كان مما لا ينكر، لتنزيل المخاطبين منزلة من يباليغ في إنكار الموت، لتماديهم في الغفلة و الأعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل (ميتون) دون تموتون، لما سيأتي من أن الأول يفيد الثبوت، والثاني يفيد التجدد. ثم أكد آيات البعث تأكيداً واحداً مع أنهم يباليغون في إنكاره بخلاف الموت. لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالألا ينكر، بل إما أن يعترف به أو يتردد فيه، فنزل المخاطبون المنكرون له منزلة المترددين، تنبهاً لهم على ظهور أدلته. وحثاً على النظر فيها؛ ولهذا جاء فيه (تبعثون) على الأصل، وهذا من تنزيل المنكر منزلة المتردد، وهو قليل نادر والغالب تنزيله منزلة الخالي الذهن من الحكم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لعلم المعاني، دار التضامن، القاهرة، ط2، 1980م، ص54.

<sup>2</sup> سورة الجمعة، الآية 1.

<sup>3</sup> محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لعلم المعاني، ص54.

<sup>4</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص185.

<sup>5</sup> سورة المؤمنون، الآية 16.

<sup>6</sup> ينظر: عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية "علم المعاني"، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط2، 1991م، ص 45، 46.

وهذا النوع أعني نعت الكلام لا على مقتضى الظاهر متى وقع عند النظر موقعه إستهش الأنفس وآنق الاسماع وهز القرائح ونشط الاذهان، ولأمر ما نجد أرباب البلاغة و فرسان الطرد في ميدانها الرامية في حد من البيان يستكثرون من هذا الفن في محاوراتهم وانه في علم البيان يسمى بالكناية<sup>1</sup>.

## ● أغراض القاء الخبر على خلاف الأصل:

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين: أولهما إفادة المخاطب حكمه، ويسمى ذلك عندهم فائدة الخبر كقوله ﷺ: "الخيل معقودة في نواصيها". وكذلك نحو "الدين المعاملة". وثانيهما إفادته المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المخاطب مثل قولك لمن يخفي زواجه عليك "أنت تزوجت" ويسمى ذلك الحكم "لازم الفائدة" والأخبار التي تلقى في أحد هذين الغرضين تقال في مقام جهل المخاطب بفائدة الخبر أو لازم فائدته، فتلقى على أصلها بدون زيادة شيء فيها من تأكيد ونحوه، وهي الأخبار السائرة بين الناس في تحاورهم وتخطبهم<sup>2</sup>.

وقد يُلقى الخبر على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستفاد من سياق الكلام أهمها:

1- الاسترحام والاستعطاف نحو: إني فقير عفو ربي، كذلك قول الشاعر:

ربي إني لا استطيع اضطباراً \*\*\* فاعف عني يا من يقيل العثارا.

2- وإظهار الضعف والخشوع نحو: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾<sup>3</sup>.

3- وإظهار التحسر والتحرّز نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾، وأيضا في قول الشاعر:

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم \*\*\* و بقيتُ في خَلْفِ كالجِلْدِ الأَجْرَبِ

4- وإظهار الفرح بمقبل- و الشماتة بمُدبر، نحو: ( جاء الحق وزهق الباطل).

5- وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله نحو: ليس سواء عالمٌ وجهولٌ<sup>4</sup>.

6- وقد يراد من توجيه الخبر إعلانُ الفخر بما تضمنه الخبر، كقول عمر بن كلثوم:

وإذا بلغ الفطام لنا رضيع \*\*\* يخر له الجبابر ساجدينا.

أيضا كقول الشاعر :

<sup>1</sup> مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ط)، 2002م، ص 17.  
<sup>2</sup> ينظر: عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص 60. - وأحمد هاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 46.  
<sup>3</sup> سورة مريم، الآية 4.  
<sup>4</sup> عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص 60. / وأحمد هاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 46، 47.

أنا القائد الحامي الدِّمار\* وإنما \*\*\* يُدافع عن أحسابهم\*\* أنا أو مثلي.

7- وقد يراد مه التوبيخ، كجواب المؤمنين للمنافقين في موقف الحشر بعد أن يُضرب بين الفريقين بسور له بابٌ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، والحوار بينها الذي عرضه الله ﷻ في قوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>1</sup>.

والمقالة التي توجه للذين يكنزون الذهب والفضة حين يُعذبون بصفائحها المحمية في نار جهنم، إذ يقال لهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُذَا مَا كُنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾<sup>2</sup>.

8-التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو: لا يستوي كسلان ونشيط.

9- الإرشاد والنصح مثل ما كتب به طاهر بن الحسين إلى العباس بن موسى الهادي وقد استبطأه في خراج ناحيته:

وليس أخو الحاجات من بات نائما \*\*\* ولكن اخوها من بيت على وجل.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>3</sup>.

10- إظهار الامتثال في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾<sup>4</sup>. فلا يقصد موسى بما قاله إلا إظهار الامتثال لربه وليس في هذا إعلام بفائدة الخبر ولا بلازم فائدته، لا متناع الجهل في حق الله تعالى<sup>5</sup>.

11- وقد يراد منه المدح وثناء، مثل أن نقول: اللهم أنت خالق السموات والارض. العليم القدير الحكيم الرحيم الغفار، ناصيتي بيدك، أنت قيوم السموات والأرض الذي تأخذه سنة ولا نوم. ومثل قول النابغة الذبياتي يمدح النعمان بن المنذر:

فانك شمس والملوك كواكب \*\*\* إذا اطلعت لم يبدي منهن كوكب .

\*الدِّمار: ما تحب حمايته، كالأهل والعرض.

\*\* الأחסاب: ما يعدُّ المرء من مناقب وشرف الآباء.

2 سورة الحديد، الآية 14.

2 سورة التوبة، الآية 35.

3 سورة الرحمن، الآية 26، 27.

4 سورة طه، الآية 18.

5 عبد المتعال الصعدي، البلاغة العالية، ص 61. وأحمد هاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 47.

12- وقد يراد منه إظهار الفرح، كقول أهل الجنة مظهرين الفرح من خلال ثنائهم على الله بما أتاهم من فضله، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾<sup>1</sup>.

13- وقد يراد منه الشتيمة، كأن يقال للقيط، انت ولد زنا.

14- التذكير، كأن يقال عند المحتضر: أشهد ان لا إله الا الله و أن محمدا رسول الله .

15- وقد يراد منه اكلام غير مخاطب، على طريقة: إياك أخطب واسمعي يا جارة.

16- وقد يراد به الأمل نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>2</sup>، أي ليكن المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض إلى آخر الآية. والسبب في دلالة الجملة الخبرية على الأمر أحيانا بمساعدة القرائن، ليس من استخدام الصيغة الخبرية في معنى الأمر، ولكن هذه الدلالة آتية من دلالة اللزوم الفكري.

فوصف الله المؤمنين بأن بعضهم أولياء بعض، وبأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، إلى آخر ما جاء في الآية، يدلّ باللزوم الفكري على أنهم لا يتحلّون بهذه الصفات إلا بدافع من إيمانهم وخوفهم من ربهم، وحرصهم على طاعته فيما أمرهم به، ولو لم تكن هذه الصفات مما أمر الله به لما كانت أثراً من آثار إيمانهم الصادق.

17- وقد يراد من الخبر في الجملة الخبرية النهي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>3</sup>، ليس نفي لوجود الرفث، بل هو نفي لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف الواقع، وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً، لا إلى وجوده محسوساً، قال: وهذه هي الدفينة التي فاتت العلماء فقالوا: إنّ الخبر يكون بمعنى النهي، وما وُجد ذلك قطّ، ولا يصح أن يوجد، فإنهما مختلفان حقيقة، ويتباينان وصفاً.

ما ذكر ابن العربي وجه يمكن أن يقصد، لكن استعمال النفي بمعنى النهي أمر متداول بين الناس ويدعو إليه عدة دواع بلاغية، منها التلطف بالمخاطب.

18- وقد يراد من الخبر في الجملة الخبرية الدعاء، وهذا كثير منه قولنا: يرحم الله موتانا ويغفر لهم أي اللهم ارحمهم واغفر لهم.

<sup>1</sup> سورة الزمر، الآية 74.

<sup>2</sup> سورة التوبة، الآية 71.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 167.

وفي استخدام الخبر في الدعاء معنى التفاؤل باستجابة الله الدعاء وتحقيقه في الواقع حتى يكون خبر، كذلك قول يوسف عليه السلام لإخوته في ما حكى الله في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْنِكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>1</sup>. يعفر الله لكم: جملة خبرية أريد منها الدعاء لهم بأن يعفر الله لهم.

وكان من دعاء الرسول ﷺ لبعض اصحابه: (غفر الله له) بأسلوب الخبر، والمعنى اللهم اغفر له وكان هذا الدعاء مشعراً بقرب وفاة من دعا الرسول له به.

وفائدة الخبر تفهم من ذات الخبر، ويدل عليها لفظه دلالة أصلية، وما عداها من أغراضه يفهم من سياق أو نحوه، ودلالة الخبر عليه دلالة تبعية مثل دلالة الألفاظ على المعاني غير الأصلية<sup>2</sup>. (المعاني التي يخرج إليها الخبر من غير المعنيين أو الغرضين الأساسيين اللذان سبقا ذكرهما).

### ثانياً: ما يخص المسند إليه و سائر أجزاء الجملة:

وصور خروج كلام عن مقتضى الظاهر كثيرة منها: وضع المضمرة موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمرة، والالتفات والأسلوب الحكيم والقلب والتغليب والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي و عن الماضي بلفظ المضارع.

وقد اعتاد البلاغيون أن يتحدثوا عن هذه الظواهر الأسلوبية بعد انتهائهم من الحديث عن أحوال المسند إليه، وفي الحقيقة هي ليست قاصرة عن المسند إليه، بل تتعداه إلى المسند، ومتعلقات الفعل وكل أجزاء الجملة<sup>3</sup>.

المسند إليه هو المبتدأ الذي له خبر والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ وأحواله هي الذكر، والحذف والتعريف والتكثير والتقديم والتأخير وغيرها<sup>4</sup>.

### 1-الإضمار موضع الإظهار :

الأصل في ضمير الغائب ألا يذكر إلا إذا وجد في كلام ما يعود هذا الضمير إليه، وكان متقدماً لفظ ورتبة أو لفظاً فقط أو رتبة فقط، فلا يعود ضمير الغائب على المتأخر لفظ ورتبة ولذا عد البلاغيون قول الشاعر:

جزى ربّه عن عدى بن حاتم \*\*\* جزاء الكلاب العاويات و قد فعل.

<sup>1</sup> سورة يوسف، الآية 92.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 176، 177، 178.

<sup>3</sup> ينظر: بسيوني، علم المعاني، ج 1، ص 259، 260.

<sup>4</sup> أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 50

غيرُ فصيح، إذا عاد الضمير في قوم: ربه على المفعول به عدى المتأخر لفظ ورتبة، وذا ضعف تأليف يخل بفصاحة الكلام.

وعلى الرغم من وضوح هذا الأصل فإنك تجد بعض الأساليب وقد ذكر فيها ضمير الغائب ثم فسر بتأخر عنه، فيكون ذلك وضعاً للضمير في موضع الاسم الظاهر<sup>1</sup>.

حيث ينتمي هذا الفن إلى علم المعاني، يلاحظ هذا القسم في موضعين :

### الموضع الأول:

ضمير الشأن أو القصة، وهو ضمير الغائب الذي يقع قبل الجملة، ويسمى ضمير الشأن إذا كان مذكراً، وضمير القصة إذا كان مؤنثاً، ويعود كل منهما إلى ما في الذهن من شأن أو قصة وذلك مضمون الجملة التي بعده.

وضمير الشأن أو القصة في مقام الاسم الظاهر في الأمر الذي يُراد فيه التعظيم والتفخيم، أو التهويل، أو الاستهجان، أو نحو ذلك<sup>2</sup>.

ولهذا الضمير أربعة أحوال :

1- أن يكون بارزاً متصلاً، في باب (إنّ) مثل قول الله ﷻ حكاية لمقالة يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>3</sup>، أي: إن الشأن العظيم الذي يعظم لدى أولى الالباب هو "من يتق و يصبر".

2- أن يكون بارزاً منفصلاً، إذا كان عامله معنوياً، أي: إذا كان مبتدأً، مثل قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>4</sup>، أي قل: الشأن العظيم الجليل الذي يجب أن يهتم به كل ذي فكر الله أحد.

3- أن يكون مستتراً، ويكون مستتراً ففي باب (كاد)، مثل قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ

<sup>1</sup> بسيوني، علم المعاني، ج 1، ص 260.

<sup>2</sup> ينظر: بسيوني، علم المعاني، ج 1، ص 260. و عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1،

ص 507.

<sup>3</sup> سورة يوسف، الآية 90..

<sup>4</sup> سورة الإخلاص، الآية 1.

عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهَمِّ رَعُوفٌ رَحِيمٌ<sup>1</sup>، أي: من بعد ما كاد شأهم المستنكر يزيغ قلوب فريق منهم، فضمير الشأن هنا مستتر، ولكن بقيت دلالة<sup>2</sup>.

4- أن يكون واجب الحذف، ويجب حذفه مع (أن) المفتوحة المخففة من الثقيلة، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَخِرُّ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>3</sup>، أي: وآخر دعاء أهل الجنة في الجنة أن شأهم المحمود أن يحمدا ربهم قائلين: الحمد لله رب العالمين.

فضمير الشأن هنا محذوف وجوبا، ولا يجوز في العربية إظهاره .

والغرض من وضع ضمير الشأن موضع الاسم الظاهر التعظيم والتفخيم، أو التهويل، أو الاستهجان، أو نحو ذلك كما سبق، وهذا من خصائصه في أصل الوضع اللغوي واستعمالات العرب له.

### الموضع الثاني:

الضمير في باب ( نعم و بئس ما جرى مجراهما ) وهي أفعال لإنشاء المدح أو الذم على سبيل المبالغة، وفاعل هذه الافعال قد يكون اسما ظاهرا، وقد يكون ضميراً مستتراً وجوباً مُميّزا بكلمة (ما) بمعنى شيء أو كلمة (من) بمعنى شخص، أو بنكرة عامة.

والغرض من الضمير المستتر في هذا الباب الإبهام به أولاً للتشويق واستشارة النفس، ويأتي التمييز فيزيلُ بعض الإبهام ويزيد تشويقاً لمعرفة المخصوص بالمدح أو الذم، وهذا من خصائص هذا الضمير في أصل الوضع اللغوي واستعمالات العرب له، ومن الأمثلة ما يلي:

قوله **عَلَى**: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>4</sup>، أي: لبئس هو شيئاً قبيحاً كانوا يعملونه، وقالها شأن كثير من اليهود<sup>5</sup>.

ويؤتي بالمسند إليه مضمرًا وظاهر حاله يستدعي لإظهار الأمور ، منها :

1-الإيضاح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال، وذلك في باب (نعم وبئس) كقولك: (نعم فتاة

هند) حيث جئت بالمسند إليه (فاعل نعم) ضميرا مستترا في(نعم). وكان مقتضى الظاهر أن تقول:

(نعم الفتاة هند) حيث تأتي بالمسند إليه (فاعل نعم) اسما ظاهراً ( الفتاة ) ولا تأتي به ضميرا لعدم

تقدم ما يفسره. لكنك خالفت الظاهر وأتيت بالمسند إليه مضمرًا في موضع الإظهار، لغرض

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية 117.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، البلاغة العربية، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص 507، 508.

<sup>3</sup> سورة يونس، الآية 10.

<sup>4</sup> سورة المائدة، الآية 62.

<sup>5</sup> عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها و علومها وفنونها، ج 1، ص 508، 509.

الإيضاح بعد الإبهام. ومثاله في بئس قولك: (بئس فاتناً إبليس)، وواضح أن هذا يصح على رأي من يجعل المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ محذوف الخبر، أو خبراً محذوف المبتدأ<sup>1</sup>.

2- تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه، وذلك في ضمير الشأن، كقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>2</sup>، جيء بالمسند إليه (هو) مضمراً موضع المظهر لتمكينه في نفس السامع بعد أن تشوق إليه، لأن (الضمير حين يطرق النفس من غير أن يكون له عائد يعود عليه بصيرها إلى حالة من الغموض و الإبهام لا قرار لها معها فتشرف إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير، فإذا جاءت الجملة المفسرة تمكن معناها ووقع في القلب موقع القبول).

وكقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>3</sup>.

قال السكاكي في بيان مبعث التمكين في أمثال هذه الصور: (وذلك أن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون فيتمكن المسموع بعده فظل تمكن في ذهنه).

3- إدعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن: كقولك (اقبل و عليه الهيبة و الوقار)، ومنه قوله الشاعر:

أبت الوصال مخافة الرُقباء \* \* و أتاك تحت مدارع الظلّماء

البيت مطلع قصيدة وجاء الشاعر بالمسند إليه (فاعل ابت) ضميراً مستتراً لم يتقدم مرجعه ولم يذكر له مفسراً، اعتماداً على وضوح المراد منه وادعاء أنه معروف حاضر في القلب، لا يخطر بالبال سواه ويسمى هذا العدول إلى الإضمار في مقام الإظهار<sup>4</sup>.

ويقول الإمام الزركشي: "والأصل في الاسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك، والأصل أنه إذا ذكر ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء به عن الظاهر السابق"<sup>5</sup>.

أي: أنه حين يذكر الاسم ظاهراً، وأريد الحديث عنه لا يكرر إنما يؤتى بضمير يعود عليه ليتم به الكلام وتقع به الفائدة وهذا هو الأصل.

على أننا يجب أن نتنبه إلى أن الضمير الذي يصح أن يقع موقع الاسم الظاهر، فتم به فائدة الكلام، يتوصل به إلى المعنى المراد، ليس هو تمام الاسم الظاهر، فهو لا يساويه، ولا ينطبق عليه بكل

<sup>1</sup> عيسى علي العاكوب وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 143، 144.

<sup>2</sup> سورة الإخلاص، الآية 1.

<sup>3</sup> سورة الحج، الآية 46.

<sup>4</sup> عيسى علي العاكوب وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 144، 145.

<sup>5</sup> الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3،

ظلاله إلا في الحكم الإعرابي الذي يتم به المعنى، إذا يظل الاسم الظاهر ينفرد بجملة من المزايا عن الضمير، منها مثلاً :

أن الأثر الذي يتركه الاسم الظاهر ويلقي بظلاله على النفس أقوى وأكثر تأثيراً من الضمير، لأن تصور الذهن عن كليهما مختلف من حيث إيقاع ظلاله على النفس، ثم إنه يستطيع بناء جملة مستقلة ذات إيجاء قوي وفعال، يصح أن تقوم مقام المثل أو الحكمة أو أن تكون تذيلاً مناسباً لمعنى مطروق في حين أن الضمير يقصر أحياناً عن ذلك.

## 2-الإظهار موضع الإضمار:

قد يعكس الوضع السابق فيؤتى بالمظهر موضع المضمّر. وللمظهر هنا حالان:

- أن يكون اسم إشارة.
- أن يكون غير اسم إشارة .

وقد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد، لكن قد يوجد داع بلاغي يستدعي استخدام الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير<sup>1</sup>.

باسم الإشارة لكمال العناية بتمييز المسند اليه؛ ليرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي اختصر بهذا الحكم البديع<sup>2</sup>.

ولتوجيه العناية تفكيراً في حكمه الله بتقدير أرزاق العباد، وإدراك أن الأرزاق قد تقتضي حكمة الله بأن تأتي وافرة للجاهل، وتأتي غير وافرة للعالم العاقل.

2-التهكم بالسامع أو النداء أو باستخدام اسم الإشارة، ويمكن ان نمثل له بقول حنكة الميداني: ومنه في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾<sup>3</sup>، أي: أن تطلبوا الفتح فقد جاءكم الفتح، وكان مقتضى الظاهر أن يكتفي بالضمير فيقال ب ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ ولكن جيء بالاسم المظهر للتهكم به، لأن الفتح وهو النصر الذي جاءهم كان عليهم ولصالح المسلمين.

<sup>1</sup> عيسى على العاكوب وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص145.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الرحمن حنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وفنونها، ج1، ص504. وعيسى على العاكوب، وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص145. والشريف الجرجاني، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم " علوم البلاغة"، تح: رشيد أعراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص159.

<sup>3</sup> سورة الأنفال، الآية 19.

3- إظهار بلاهة المقصود بالخطاب، وأنه لا يفهم إلا بالإشارة الحسية، فلا يكفيه الضمير لمعرفة المراد كان تقول لمن تريد وصفة بالبلادة، وهو يتحدث عن كتاب بيده اشتراه وهو مبتهج بشرائه له: ارني هذا الكتاب الذي اشتريته.

لقد كان مقتضى الظاهر أن تقول له: أرنيه، إلا أنك اردت اشعاره بالبلادة وأنه ليس أهلاً لاقتناء الكتب<sup>1</sup>.

4 تعاللت كي أشجى وما بك علّة \*\*\* تريدين قتلي قد ظفرت بذلك.

أي: ادعيت العلة كي أحزن من أجلك وأنت سليمة، أتريدين قتلي بما تفعلين؟. إن كنت تريدين قتلي فقد ظفرت بذلك، وكان مقتضى الظاهر أن يقول لها: قد ظفرت به<sup>2</sup>.

فالشاعر أخرج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر وأتى المسند إليه اسم إشارة تبيها على كمال فطنة المخاطب، وأن المعقول عنده كالمحسوس المشاهد؛ لأن في استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض إيماءً إلى ان السامع لذكائه صارت المعقولات لديه كالمحسوسات.

5- زيادة تمكين ما استخدم للدلالة عليه الاسم الظاهر بدل الضمير، ومنه في قوله **وَعَلَّكَ** : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾<sup>3</sup>.

كان المقتضى أن يكون التعبير: "هو الصمد" لكن بلاغة القرآن جاء فيها استعمال الاسم العلم الظاهر بدل الضمير، لتوكيد و تمكين إسناد الصفات في السورة إلى الله **وَعَلَّكَ**؛ لأن للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعاً عظيماً في القلوب، والمراد تمكين الألوهية، وإشاعة هيمنتها في الضمائر.

وجلي أنّ وقوع الاسم الظاهر في غير موقعه يحدث في نفس المتلقي استغراباً وزيادة انتباه وتيقظ الذهن، ثم إنّ المظهر يتضمن إثارة من التفخيم والتعظيم والتأكيد، بما فيه من وضوح الدلالة وقطع الاشتراك.

ومنه في الذكر الحكيم أيضاً قوله سبحانه: ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾<sup>4</sup> و ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾<sup>5</sup>.

6- الإستعطاف بإعلان الخضوع، بغية استدرار الرحمة والشفقة، ومنه قول العبد الذي يستدر رحمة ربه:

<sup>1</sup> الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، ص159. و ابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص29.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص504، 505. وعيسى على العاكوب، وعلى

سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص146، 147.

<sup>3</sup> سورة الإخلاص، الآية 01.

<sup>4</sup> سورة الحاقة، الآية 1.

<sup>5</sup> سورة القارعة، الآية 1.

إلهي عبدك العاصي أذاك \*\*\* مقرا بالذنوب وقد دعاك.

كان مقتضى الظاهر أن يقول: "أنا العاصي أيتيك" لكنه أراد أن يستعطف ربه و يظهر كمال خضوعه له، فذكر الاسم الظاهر بدل ذكر الضمير.

7- إدخال الروعة والمهابة في نفس المخاطب و تقوية داعي إطاعته وامثاله ومنه قوله **وَعَجِبْكَ** خطاب للرسول **ﷺ**: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>1</sup>. إن مقتضى الظاهر يستدعي أن يقال: ﴿فتوكل عليه إنه يحب المتوكلين﴾ لكن وضع الاسم المظهر وهو لفظ الجلالة (الله) موضع الضمير لإدخال الروعة و المهابة<sup>2</sup>، نظراً إلى أن لفظ الجلالة يجمع كل صفات كمال **وَعَجِبْكَ**، باعتباره اسماً علمياً للذات العليّة، وما هو اسم علم للذات يكون جامعاً لكل صفات الكمال.

8- التعجب واستشارة الانكار، ومنه قول الله **وَعَجِبْكَ**: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَاءَ حِينٍ مِّنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾**

جاء في هذا النص: ﴿وقال الكافرون﴾ مع أن مقتضى الظاهر أن يقال: (وقالوا) باستخدام الضمير، ولكن وضع الاسم المظهر (الكافرون) مقام الضمير للتعجب من فظاعة مقاتلتهم، واستشارة النكير عليهم، والاشعار بأنهم أهل تمرد وعناد، كافرون بالحق، سائرون لأدلتهم وبراهينه الواضحة<sup>3</sup>.

9- التلذذ بذكره، كلفظ (سلمى) في قول الأخطل.

سقى الله منه دال سلمى برية \*\*\* على ان سلمى يتدنى سقيمها

ولو حملتني الستر سلمى حملته \*\*\* وهل يحمل الأسرار إلا كتومها

من العرييات البوادي ، ولم تكن \*\*\* تلوحها حُمى دمشق و صُومُها

ذكر (سلمى) مرتين باسمها الصريح في موضع حقه الإضمار؛ لتقدّم المرجع في صدر البيت الأول وما ذلك إلا للتلذذ بجريان اسمها على لسانه ، وهذا من المعاني المتعاورة في شعرنا العربي، حتى إن

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية 159.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص505، 506. وعيسى على العاكوب، وعلى

سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص147.

<sup>3</sup> عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص506.

الشعراء يحبون عدلّ العدّال ولوم اللائمين حبًا لذكر المحبوبة، حيث يسمى هذا العدول الإظهار في مقام الإضمار<sup>1</sup>.

10- "قصد الذم، وجعل الزمخشري قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾<sup>2</sup>. فقال المرء هو الكافر وهو ظاهر، وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني: ما (قدمت يدها).

وليس من هذا الباب قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَابِينَ غَفُورًا﴾<sup>3</sup>، أي: في معاملة (الابوين) فإنه كان للأوابين غفورا .

وكذلك كل ما فيه شرط فان الشروط أسباب، ولا يكون الإحسان للولدين سببا لغفران الله لكل تائب، لأنه يلزم أن يثاب غير الفاعل بفعل غيره؛ وهو خلاف الواقع.

فتعين في هذا الموضع أن يكون من باب إقامة الظاهر مقام المضمّر ليس إلا. وهذا الغرض (قصد الذم) يدخل في عدم اشتراط وضع الظاهر موضع المضمّر أن يكون بلفظ الأول.

قد مر أن سؤال وضع الظاهر موضع المضمّر حقه أن يكون في الجملة الواحدة؛ نحو: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾<sup>4</sup>.

فأما اذا وقع في جملتين فأمره سهل وهو افصح من وقوعه في الجملة الواحدة، لأنه الكلام جملتان، فحسن فيهما مالا يحسن في الجملة الواحدة<sup>5</sup>.

فعلماء البلاغة -رحمهم الله- حين تناولوا فكرة الإظهار في موضع الإضمار، وصفوا القواعد العامة لها، وكانت تلك القواعد عندهم شاملة عامة، تحتاج إلى تفصيل وتطبيق عملي على النماذج القرآنية جميعها.

ومن خلال اطلاعنا المتواضع -أو فيما تيسر لنا من تأليفهم - لاحظنا أن تلك الظاهرة التي أشرنا إليها قبل قليل لم تحظ بنصيب من دراساتهم، ولم يدلوا بدلوهم فيها على وجه الخصوص، فيما ظل حديثهم عاما عن خروج الكلام على مقتضى الظاهر.

لذا كان علينا أن نتوجه إلى علماء التفسير ممن درسوا البلاغة فبانت شذراتها في مصنفاتهم وألوهها رعاية واهتمام في تفاسيرهم ومن هؤلاء الإمام أبي السعود والألوسي وابن عاشور وغيرهم.

<sup>1</sup> عيسى على العاكوب وعلى سعد الشتيوى، الكافي في علوم البلاغة، ص149.

<sup>2</sup> سورة النبأ، الآية 40.

<sup>3</sup> سورة الإسراء، الآية 25.

<sup>4</sup> سورة الحاقة، الآية (1، 2).

<sup>5</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص499-502.

إن هناك أغراضاً لا حصر لها للإظهار، وهي تندرج تحت الغرضين السابقين، حتى أن بعض العلماء كان يجمع الكثير من الفوائد في الموضوع الواحد.

فلالإظهار في مقام الإضمار موضع ودلالة لا يستطيع تأديتها المضمرة وفي ذلك ما قاله ابو موسى في كتابه خصائص التركيب: "وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة وعلمها بما يثيره لفظها من شؤن في النفس، لا يستطيعها الضمير العائد عليها، فأشاروا إلى أن الكناية، و يعنون بها الضمير - والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكثيف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه تحضره في النفس إلا أن قدرأ كبيراً من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظاً بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه، لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة التي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات والأحداث والمواقف"<sup>1</sup>.

ويتميان هذان الفنان البلاغيان إلى علم المعاني، أحد أهم العلوم البلاغة الثلاثة - التي تم ذكرها سابقاً- وحين يذكرهما البلاغيون يجمعون القول عنهما تحت أو في باب (أحوال المسند إليه) وتحت عنوان خروج الكلام عن المقتضى الظاهر.

### 3- الالتفات:

في مورثنا البلاغي والنقدي طائفة من المصطلحات التي تواردت مع مصطلح الالتفات في الدلالة على ظاهرة (التحول الأسلوبي)، ومن بين هذه المصطلحات: الصرف، والعدول والانصراف و(الشجاعة العربية) "وإنما سمي بذلك، لأن الشجاعة هي الأقدم، وذاك أن الرجل الشجاع، يركب مالا يستطيعه غيره، ويتورد، مالا يتورده سواه وكذلك الالتفات في الكلام"<sup>2</sup>.

فالالتفات من الظواهر البلاغية التي درسها البلاغيون في قديم الزمان، "ومن أوائل من تكلم فيه ابن المعتز (ت296هـ) في كتابه البديع، وقد عده من محاسن الكلام والشعر"<sup>3</sup>.

والالتفات لم يتحدد مفهومه، وتتضح معالمه كفن من فنون البلاغة ولم تدرس صورة دراسة بلاغية كاشفة عن أسرارها، ومحللة لشواهد، ومبنية فائدته، وقيمتها البلاغية إلا على يد الامام الزمخشري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص193.

<sup>2</sup> محمد السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1984م، ص7،8.

<sup>3</sup> عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: محمد عبد المنعم خفاجه، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص152.

<sup>4</sup> عبد الحميد فراج، أسلوب الالتفات دراسة تاريخية مبنية دار البيان، ط1، 1983م، ص6.

وقد تنوع أسلوب الالتفات في القرآن ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية، ويشري النص في ملامح الشد والجذب والاثارة، خاصة وأن الالتفات يؤثر في السامع فيحثه على المتابعة والتفكير والربط بالعودة إلى أول التعبير ومحاولة الكشف عن أسرار التعبير والانتقال من أسلوب لآخر. ويعتبر الالتفات من أجل علوم البلاغة، "ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها"<sup>1</sup>

#### أ- لغة:

من "لفت وجهه عن القوم إذا صرفه والتفت، التفت منه وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه، ويقال: لفت فلاناً عن رايه، أي صرفته عنه وفيه التفتات"<sup>2</sup>. أما في تعريف الجرجاني: "فهو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس"<sup>3</sup>. فالالتفات إذناً هو الانصراف والعدول في تراكيب اللغة.

#### ب- اصطلاحاً:

وفي اصطلاح البلاغيين هو التحويل في التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: (التكلم - والخطاب - والغيبة) مع أن الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أولاً دون التحول عنها<sup>4</sup>. وينبه ابن الأنير على علاقة التسمية بموضوعها فيقول: "الحقيقة مأخوذة من التفتات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهة تارة كذا وتارة كذا... وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة: لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالتقال من خطاب حاضر إلى غائب....". ومثاله قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>5</sup>، عبروا عن البارئ سبحانه أولاً بطريقة الخطاب ﴿إِنَّكَ﴾ ثم عبروا ثانية بطريقة الغيبة ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ وهو ما ينتظره السامع ويترقبه. وهذا التعبير عن المعنى بطريقة الغيبة بعد التعبير عنه بطريقة الخطاب يسمى التفتاتاً.

<sup>1</sup> يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 71.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 84.

<sup>3</sup> الجرجاني، التعريفات، ص 36.

<sup>4</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 479.

<sup>5</sup> سورة آل عمران، الآية 9.

ويشترط جمهور البلاغيين في الالتفات أمرين:

- وجود تعبيرين يستخدم في ثانيهما مغاير لطريق الأول .

- مخالفة التعبير الثاني مقتضى ظاهر الكلام ومتربب السامع<sup>1</sup>.

وعن جمالية الالتفات يقول السكاكي: "والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع واحسن نظرية لنشاطه وأملاً باستدرار إصغائه، وهم أحرباء بذلك، أليس قرى الأضياف سحيتهم ونحو العشار للضيق دأبهم وهجيراهم لا مزقت أيدي الأدوار لهم أديماً ولا أباحت لهم حرماً، أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون بين لون ولون وطعم وطعم، ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد"<sup>2</sup>.

فاللتفات بتفسير الجمهور أخص منه بتفسير السكاكي؛ لأن النقل عنده أعم من أن يكون قد عبر عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة، ثم عبر عنه بطريقة أخرى، أو يكون مقتضى ظاهر التعبير عنه بطريقة منها فعديل إلى الآخر، وعند الجمهور مختص بالأول فكل التفتات عندهم التفتات عنده من غير عكس<sup>3</sup>.

والالتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدراً لنشاطه، وحمله على زيادة الإصغاء، وصيانة لحاظه من الملل والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه<sup>4</sup>، وهو على أقسام: أولاً - قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>5</sup>، التفتات من التكلم إلى الخطاب الخطاب وهذا "يبحث إلى الاستماع حيث يُقبل المتكلم عليه، وأنه اعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة"<sup>6</sup>.

ثانياً - قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾<sup>7</sup>، التفتات من الخطاب إلى التكلم .

ثالثاً - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾<sup>8</sup>، هنا التفتات إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ من قبلكم ﴾ إلى

<sup>1</sup> عيسى على العاكوب وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص 150، 151.

<sup>2</sup> مرجع سابق، ص 153.

<sup>3</sup> الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، ص 163.

<sup>4</sup> ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 314.

<sup>5</sup> سورة يس، الآية 22.

<sup>6</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 315.

<sup>7</sup> سورة طه، الآية 72.

<sup>8</sup> سورة يونس، الآية 13.

الغيبية في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على الكفر.

رابعا: قوله تعالى: <sup>1</sup> ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿، التفات من الغيبة إلى الخطاب، والرجوع من الغيبة إلى الخطاب يستعمل للتفنن في الكلام وصيانة للسمع عن الضجر، والملال والسآمة من الاستمرار على منوال واحد <sup>2</sup>.

خامسا: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ <sup>3</sup>، التفات من التكلم إلى الغيبة.

سادسا: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتُنَجِّيَ الْفُلْكَ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ <sup>4</sup>، التفات من الغيبة إلى التكلم وعلى هذا نستطيع أن نقول إن الالتفات في القرآن أسلوب بديعي مميز، لما فيه من انتقال وتحول من وضع إلى وضع ومن صيغة إلى أخرى، وهذا يعزز انتباه المتلقي ويدكي يقظة حواسه، كما نستطيع أن نقول أن الالتفات بأنواعه المختلفة التي استعرضناها يمكن أن يوظف لتأكيد المعنى أو لإيضاحه أو غير ذلك من الوظائف (الفوائد) التي سنأتي على ذكرها.

ومن الجدير بالذكر أن ورود الالتفات في القرآن بوفرة، دليل على أن هذا الكتاب قد جاء بأساليب ألفتها العرب وعرفتها مما يعزز الرأي القائل بأنه قريب من أفهامهم ومداركهم؛ كما أن هذا التنوع والغني في أشكال الالتفات يجعلنا ندقق ونتأمل في آيات الله، ونقف عندها لنستكشف أسرارها ومراميها <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفاتحة، الآية (1-7).

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص253.

<sup>3</sup> سورة يونس، الآية 22.

<sup>4</sup> سورة الروم، الآية 46.

<sup>5</sup> إبراهيم محمود دعلان، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب، عبد الرحمن النجدي، اللغة العربية

وآدابها، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002م، ص 255، 256.

ونشير على أننا حين نتصفح كُتُب التراث البلاغي نجد أن الالتفات ينسب تارة إلى علم البيان وأخرى إلى علم المعاني وثالثة إلى علم البديع، وهو لون من التأرجح لم يتعرض لمثله، مبحث آخر من مباحث البلاغة<sup>1</sup>.

### 3-1- فوائد الالتفات :

"اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة؛ فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر. لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام، أما الفوائد الخاصة فتختلف باختلاف مجاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصد المتكلم"<sup>2</sup>.

"وحاصل مقالة الزمخشري هو أن ورود الالتفات في الكلام إنما يكون إيقاظاً للسمع عن الغفلة وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر"<sup>3</sup>.

ومن هذه الفوائد الخاصة ما ذكره وبينه الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن.

- قصد تعظيم شأن المخاطب، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾<sup>4</sup>.

- التنبية على ما حق الكلام ان يكون واردا كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>5</sup>.

- قصد المبالغة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾<sup>6</sup>.

- قصد الدلالة على الاختصاص كقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾<sup>7</sup>.

- قصد الاهتمام كقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>8</sup>.

- قصد التوبيخ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998م، ص27.

<sup>2</sup> ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص828.

<sup>3</sup> إبراهيم محمود دعلان، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، ص237.

<sup>4</sup> سورة الإسراء، الآية 111.

<sup>5</sup> سورة يس، الآية 22.

<sup>6</sup> سورة يونس، الآية 22.

<sup>7</sup> سورة فاطر، الآية 9.

<sup>8</sup> سورة فصلت، الآية 11، 12.

<sup>9</sup> سورة مريم، الآية 88، 89.

- أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم، فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له كقوله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>1</sup>.

ومن فوائد الالتفات أيضا: فنية التنويع في العبارة، المثلل لانتباه المتلقي، والباعث لنشاطه في استقبال ما يوجه له من كلام، والاصغاء إليه، والتفكير فيه .

- الإقتصاد والايجاز في التعبير.

- الإعراض عن المخاطبين، لأنهم عن البيانات معرضون أو مُدبرون وغير مُكثرين.

- إفادة معنى تتضمنه العبارة التي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفاد إذا جرى القول وفق مقتضى الظاهر.

- ما يستفاد من معنى بالالتفات إنما يستفاد إماحاً بطريق غير مباشر، ومعلوم أن الطرق غير المباشرة تكون أكثر تأثيراً من الطرق المباشرة حينما تقتضي أحوال المتلقين ذلك.

- إشعار مختلف زُمر المقصودين بالكلام بأنهم محل اهتمام المتكلم، ولو لم يكونوا من الزمرة المتحدث عنها أولاً، ويظهر هذا في النصوص الدينية الموجهة لجميع الناس، وفي خُطب الملوك والرؤساء والوعاظ وأشباههم<sup>2</sup>.

- التفتيح: كما في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾<sup>3</sup>. واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات لقصد التفتيح لشأن الرسول ﷺ وتعظيماً لاستغفاره وتبنيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان<sup>4</sup>.

### 3-2- صور الالتفات:

وهي على مذهب الجمهور ست صور ووراء كل صورة من هذه الصور مغزى بلاغي جليل وسنقف على كل صورة من هذه الصور وهي:

#### أ- الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

يعد نقل التركيب من الغيبة إلى الخطاب، استحضر للتواصل الحي؛ بحيث يتوحي المتكلم أن يتجه بشكل مباشر بخطابه إلى السامع، ولذلك يعدل عن الغيبة إلى الحضور

<sup>1</sup> سورة الدخان، الآية (4-6).

<sup>2</sup> عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص483.

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية 64.

<sup>4</sup> محمد سيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، ص18.

ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة<sup>1</sup>.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>2</sup>، والأصل (وإليه أرجع) فالتفت من المتكلم إلى الخطاب، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نُصح قومه تلطفاً وإعلاماً: أنه (يريد لهم ما يريد لنفسه)، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله<sup>3</sup>.

ومع ذلك أفاد فائدة حسنة، وهي أنه نبههم أنهم مثله في وجوب عبادة من إليه الرجوع.

### ب- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ووجهة أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع، حضر أو غاب وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه، فيكون في المضمرة ونحوه ذا لونين، واران بالانتقال إلى الغيبة على المخاطب من قرعة في الوجه بسهام الحجر، فالغيبة أروح له، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت<sup>4</sup>.

كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزِرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>5</sup>، فقوله: (إنا اعطيناك) تكلم، وقوله (لربك) غيبة، لأن الاسم الظاهر من قبل قبيل الغيبة، والأصل (فصل لنا) ففيه التفت من التكلم إلى الغيبة. ويقول البلاغيون: "وبلاغة الالتفات في الآية تأتي من أن في لفظ الرب حثاً على فعل المأمور به، لأنه من غير ربك يستحق العبادة. وفيه إزالة الاحتمال أيضاً؛ لأن قوله: (إنا اعطيناك الكوثر) ليس صريحاً في إفادة الإعطاء من الله، وأيضاً كلمة (إنّا) تحمل الجمع كما تحمل الواحد المعظم نفسه، فلما التفت بقوله: (فصل لربك) زال هذان الاحتمالات<sup>6</sup>.

والحكمة من هذا الالتفات التذكير بحق الرب المنعم بعطاءات الربوية في أن يعبد عبادة ويصلوا له مع الاقتصاد في التعبير، والايجاز في القول<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المحافظ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، (د ط)، (د ت)، ج3، ص253.

<sup>2</sup> سورة يس، الآية 22.

<sup>3</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص822.

<sup>4</sup> بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص316،317.

<sup>5</sup> سورة الكوثر، الآية 1،2.

<sup>6</sup> عيسى على العاكوب وعلى سعد الشتوي، الكافي في علوم البلاغة، ص151.

<sup>7</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص486.

## ج-الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

"لم يقع في القرآن، ومثل له بعضهم بقوله: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾<sup>1</sup>، وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحداً، فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ويمكن أن يمثل بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾<sup>2</sup> الالتفات من الخطاب في قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي أسرع محالاً بكم واستدرجاً وعقوبة منكم، من المكر في آيات الله إلى الصيغة التكلم في قوله تعالى: ﴿ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب، والضمير في قل للمخاطب وفي رسلنا للمتكلم، وهنا تحقيق للانتقام وتنبه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلاً أن يخفى على الله تعالى.

إن الالتفات إلى التكلم دل على قدرة الله سبحانه، وتعالى في حفظ كل صغيرة وكبيرة، بواسطة رسله، حيث يكتبون مكرهم، وتعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيثة يوم القيامة، ويكون ذلك سبباً للفضيحة والتامة والخزي والنكال، نعوذ بالله منه<sup>3</sup>.

## د-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

"في هذا النوع من الالتفات يتم الانتقال يتم من الخطاب الى الغيبة وقد ورد ذكر هذا الالتفات لدى "ابن الاثير" وسماه الإخبار بالماضي عن المستقبل وهو ابلغ وأكد في تحقيق الفعل، ويكتسي هذا البعد الحجاجي، حيث يرغب المتكلم في اثبات ما يذكره وتحقيقه بل إنه ينطق به في صورته الثابتة المتحققة، ولن يتأثر له ذلك بغير الماضي"<sup>4</sup>.

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِهْمُ﴾<sup>5</sup>.

فقد التفت عن (كنتم) إلى (وجرت بهم) وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم لتعجبه من فعلهم وكفرهم، إذا لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.

قيل: لأنهم وقت الركوب حضروا، لأنهم خافوا الهلاك، وتقلب الرياح فناداهم نداء الحاضرين ثم إنَّ الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم، كما كان على ماهي عادة

<sup>1</sup> سورة طه، الآية 72،73.

<sup>2</sup> سورة يونس، الآية 21.

<sup>3</sup> ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي، عبد الرحمن المرعشلي، تح: دار إحياء التراث العربية، بيروت، ط1،

1418م ص 109.

<sup>4</sup> خليفة بوجادي، خصائص التراكيب في بوابات النور، جامعة عبد الأمير عبد القادر، (د ط)، 2006م، ص199.

<sup>5</sup> سورة يونس، الآية 2.

الانسان، أنه إذا أمن غاب فلما غابوا عند جريه بريح طيبة (فذكرهم) الله بصيغة الغيبة فقال: (وجرين بهم)<sup>1</sup>.

وقيل: أن سر الالتفات إلى الغيبة دليل المقت والتباعد والطرده، وهو اللاتق بحال هؤلاء، لأن من كان صفته أن يقابل إحسان الله تعالى إليه بالكفر كان الأليق به ما ذكرناه<sup>2</sup>.

### هـ-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

يعد نقل التركيب من الغيبة إلى الخطاب، استحضار للتواصل الحي، بحيث يتوخى المتكلم أن يتجه بشكل مباشر بخطابه إلى السامع، ولذلك يعدل عن الغيبة إلى الحضور.

كقوله سبحانه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ<sup>3</sup>، فقد التفت عن الغيبة وهو (مالك) إلى الخطاب وهو (إياك نعبد). ولك أن تقول إن كان التقدير: قولوا الحمد لله ففيه التفتان أعنى في الكلام المأمور به: أحدهما: في لفظ الجلالة فإن الله تعالى حاضر فأصله الحمد لك.

والثاني: (إياك) لمحبيته على خلاف الأسلوب السابق، وإن لم يقدره: "قولوا" كان في "الحمد لله" التفت عن التكلم إلى الغيبة، فإن الله سبحانه حمد نفسه ولا يكون في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التفت؛ لأن "قولوا" مقدرة معها قطعاً، فإما إن يكون في الآية التفت أو لا التفت بالكلية<sup>4</sup>.

في هذا الالتفات تعظيم لشأن المخاطب، لأن مخاطبة الرب ﷻ بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه، تعظيم الخطابة<sup>5</sup>.

وفائدته التحول من موضوع الثناء على الله ﷻ إلى موضوع التوجه له بالعبادة والدعاء، فثناء يُحسن فيه الإعلان العام، وهذا يلائمه أسلوب الحديث عن الغائب، والعبادة والدعاء يُحسن فيهما مواجهة المعبود المدعو بالخطاب<sup>6</sup>.

### و- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾<sup>7</sup>، وفائدته أنه لما كان سوق السحاب إلى البلد (الميت) إحياء للأرض بعد

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص882.

<sup>2</sup> محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف العُوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007م، ص617.

<sup>3</sup> سورة الفاتحة، الآية 4،5.

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 82، 83.

<sup>5</sup> محمد السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، ص21.

<sup>6</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص492.

<sup>7</sup> سورة فاطر، الآية 9.

موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره عدل لفظ الغيبة إلى التكلم، لأنه أدخل في الاختصاص وأدل عليه وأفخم.

وفيه معنى آخر: وهو أن (الاقوال) المذكورة في هذه الآية منها ما أخبر به سبحانه بسببه وهو سوق السحاب، فإنه يسوق الرياح، فتسوقه الملائكة بأمره وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله، وسائل الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه، وعادته سبحانه في كل هذه الأفعال، أن يخبر بها بنون التعظيم، الدالة على أن له جنداً وخلقا قد سخرهم في ذلك.

أشار الزمخشري إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة (أحد)، وهو معنى قول غيره إن الإشارة إلى حكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة<sup>1</sup>.

مما يجدر ذكره أن البلاغيين من العلماء لم يضعوا أغراضاً محددة لكل صورة من صور الالتفات وإنما اكتفوا بغرضين عامين هما غرض الالتفات بشكل عام، وهما تطريه السامع، وإيقاظ إصغائه إلى الكلام (قد أشرنا إليهما سابقاً) وهما غرضان يلجأ إليهما البلاغي حين لا تتقدح في ذهنه فائدة الالتفات في الموضوع، وهما يشيران إلى المقدرة العربية في التصرف والاستماع في الكلام.

فلقد أعطى الالتفات المعنى حالة من الثراء قلما يمنحها إياه أي فن من فنون البلاغية الأخرى . ولأهمية جعل الامام العلوي يمتدحه قائلاً: "اعلم أن الالتفات من أجل علوم البلاغة وأمير جنودها والواسطة في قلائدها وعقودها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: ، ص 823، 824.

<sup>2</sup> يحيى بن بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ص265. حمزة

## 4-الأسلوب الحكيم :

أ-لغة :الأسلوب:

"ويقال للسطر من النخيل: أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق والوجه والمذهب ويقال أنتم في أسلوب سوي، ويجمع أساليب والأسلوب: الطريق تأخذ فيه والأسلوب بالضم الفن"<sup>1</sup>.  
فالأسلوب إذا هو الطريق أو الفن؛ يقتضي مسلك واضح.

الحكيم:

من أسماء الله تعالى، وذو الحكمة والفيلسوف والطبيب ج حكماء، والذكر الحكيم: القرآن لأنه الحاكم للناس وعليهم، ولأنه محكم، لاختلاف فيه ولا اضطراب<sup>2</sup>.  
والله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وهو الحكيم وله الحكم، وقيل الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم<sup>3</sup>.

ب-اصطلاحاً:

يقصد بأسلوب الحكيم تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بجمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي ان يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى<sup>4</sup>.

وعرفه الجرجاني: "وهو عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم كما قال الخضر صلعم حين سلّم عليه موسى إنكاراً لسلامة لان السلام لم يكن معهوداً في تلك الارض بقوله أتى بارضك ألسلام وقال موسى صلعم في جوابه أنا موسى كانه قال موسى أجبت عن اللائق بك وهو أن تستفهم عني لا عن سلامي بأرض"<sup>5</sup>.

ولعل الجاحظ أول من فطن إلى هذا النوع من فنون البديع المعنوي، فقد عقد له باباً خاصاً في "البيان والتبيين" واطلق عليه اسم "اللغز في الجواب" فأسلوب الحكيم نوع من أساليب الكلام الذكي الموجز.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 473.

<sup>2</sup> المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 1425هـ، ص220.

<sup>3</sup> ابن المنظور، لسان العرب، مجلد 12، ص 140.

<sup>4</sup> عبد العزيز العتيق: في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، ص 600.

<sup>5</sup> الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 23.

وكان العرب يستعملون هذا الأسلوب لأغراض شتى، منها: حسن التخلص من السائل، أو التظرف والفكاهة، أو التهكم، أو تقديم الأهم عن المهم....

فهذا الأسلوب، المتضمن لغزاً في الجواب هو أسلوب الحكيم لأنه يُسمع المخاطب غير ما يتوقعه، وفي شبيهه قال الجاحظ: قالوا: كان الخطيئة يرعى غنماً له، وفي يده عصا فمرّ به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجرا من سلم يعني عصاه. قال اني ضيف. فقال الخطيئة: للضيفان أعددتها<sup>1</sup>.

وقد أطلق عليه المتأخرون من البلاغيين اسم "القول بالموجب" ولهم فيه عبارات مختلفة ومن هؤلاء ابن أبي الاصبغ المصري فقد عرفه بقوله: "هو أن يخاطب المتكلم مخاطب بكلام فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم" وذلك عين القول بالموجب لأن حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه<sup>2</sup>.

#### 4-1- موقعه في البحث البلاغي :

يختلف البلاغيون في تصنيف فن أسلوب الحكيم، فهناك من عاجله ضمن علم المعاني، وهناك من أدرجه ضمن علم البديع. فالسكاكي عندما قعد لعلوم البلاغة جعله في آخر حديثه عن علم المعاني، وتبعه بعد ذلك الخطيب القزويني حيث ذكره عند حديثه عن أحوال المسند إليه، أما عبد القاهر الجرجاني فسماه مغالطة، ولم نعلم إلى أي قسم كان يعتبره، غير أن أغلب البلاغيين بعد القزويني اعتبروه محسناً بديعياً وأنهم لم يرضوا بتصنيف السكاكي. ولعل عدم التوافق البلاغيين في تصنيف راجع إلى كون المباحث البلاغية، أساساً متشابهة ومتداخلة، فكلمة بديع كانت تعني الشيء الطريف أو الجديد عند ابن المعتز، وكان لهذا التخصيص جنايته على مسار الدرس البلاغي، فقد عزل الظواهر الأسلوبية بعضها عن بعض، وأصبح دور "علم البديع" بمقتضاه دوراً هامشياً أشبه بالتلوين الخارجي الذي لا تأثير له على جوهر المعنى<sup>3</sup>.

#### 4-2- أقسام الأسلوب الحكيم:

وقد ذكر عبد العزيز عتيق في كتابه قسماً وهي كمايلي:

أ- أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم أو انتفائه.

<sup>1</sup> محمد على زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998، ص268، 267.

<sup>2</sup> عبد العزيز العتيق، علم المعاني و البيان والبديع، ص602.

<sup>3</sup> شفيق السيد: البحث البلاغي عند العرب تاصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1990، ص273.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup> فأنهم كانوا "بالأعز" عن فريقهم، و"بالأذل" عن فريق المؤمنين، واثبتوا للأعز "الإخراج" فاثبت الله في الرد عليهم صفة (العزة) لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت كم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنتفيه عنهم .

ب-والقسم الثاني من أسلوب الحكيم أو القول بالموجب عند صاحب التلخيص هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقة، وهذا القسم هو الذي شاع تداوله بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات، كقول ابن حجاج:

قال ثقلت إذا أتيت مراراً \*\*\* قلت ثقلت كاحلي بالأيدي.

قال طولت قلت أوليت طولاً \*\*\* قال أبرمت قلت حبل ودادي.

فصاحب ابن حجاج يقول له: قد ثقلت عليك وحملتك المشقة بكثرة زيارتي فيصرفه الشاعر عن رأيه في أدب وظرف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر ويقول له: إنك ثقلت كاهلي بما أغدقت علي من نعم .

وفي البيت الثاني يقول صاحبه: قد طولت اقامتي عندك وأبرمتك أي جعلتك برماً ملولاً فيرد الشاعر عليه مرة أخرى في أدب ولطف وينقل كلامه من معناه إلى معنى آخر، ويقول له: إنك تطولت وأنعمت علي وأحكمت وقويت حبل ودادي<sup>2</sup>.

إلا أن الدكتور ابراهيم محمود علان أضاف قسم آخر وهو:

ج-تلقي المخاطب بغير ما يتوقع تنبيها له على أنه أولى بالقصد مثل: قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ يقول أئنك لمن المصدقين<sup>3</sup> أئنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئننا لمدينون<sup>4</sup> قال هل أنتم مطلعون<sup>5</sup> فاطلع فرأه في سواء الجحيم<sup>6</sup>، فقد رد سبحانه على تساؤلات العبد الذي كاد يغويه قرينه بطلب النظر والاطلاع على مصير القرين فراه في سواء الجحيم، فكان هذا ردا غير مباشر وفيه تجاهل لتساؤلات القرين ولكن فيه الدلالة على مصيره<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة الغاشية آية 20.

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق : علم المعاني، البيان، البديع، ص 603.604

<sup>3</sup> الصافات، الآية (51-55).

<sup>4</sup> ابراهيم محمود علان، البديع في القرآن انواعه ووظائفه، ص 281.

#### 4-3-أغراضه :

قبل أن نطلق في عرض جملة من أغراض الأسلوب الحكيم وقيمته البلاغية، لا بد وان نبه على شيئين مهمين ونحن ندرسه في القرآن الكريم :

**أولهما :** إن القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع موقعه وتناسقه وتناسبه وملاءمته لما قبله ولما بعده، مع ادراك وفهم سبب نزول آياته، وموضوع السورة التي ورد فيها ومقصدها العام، ولا يمكن الاستغناء عن ذلك، فكل ذلك من الضروري لفهمه من خلال السياق الوارد فيه في النص القرآني، لكي لا يُدرس مبتوراً عن أصله، فلصياغة دورها وللسياق دوره في تحديد القيم الكامنة لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم.

**ثانيهما:** أننا سنعرض بعض الأغراض التي سبق وأن تعرضنا لها عند عرض أغراضه في الدرس البلاغي، ونعدل عن بعضها لأنها لا تكون في القرآن الكريم، مثل غرض التخلص من الإحراج، فلا يمكن أن يكون هناك حرج في حق الله تعالى حتى يحتاج إلى التخلص منه في الرد على أسئلة السائلين لرسله، فهو لا يستحي من ضرب المثل ببعوضة فما هو أصغر منها، فكيف يتخلص من الرد على ما هو دون ذلك؟

وبالتالي سنقف على أكبر عدد ممكن من أغراض أسلوب الحكيم:

**1-التنبية على اللاتق والاهم:** وهو من أكثر الأغراض تقريبا لأسلوب الحكيم عموماً وفي القرآن خصوصاً، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>1</sup> قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ<sup>1</sup>، والمعنى: انكار جعلهم تأخير العذاب أمانة على كذب الوعيد به، وأن الأولى بهم أن يجعلوا امتداد السلامة أمانة على إمهال الله إياهم فيتقوا حلول العذاب، أي لم تبقون على التكذيب منتظرين حلول العذاب، وكان الأجدر بكم أن تبادروا بالتصديق منتظرين عدم حلول العذاب بالمرّة، وعلى كلا الوجهين فجواب صالح إياهم جار على الأسلوب الحكيم يجعل يقينهم بكذبه محمولاً على ترددهم بين صدقه وكذبه<sup>2</sup>.

**2- التعريض:** يراد منه إيصال المعنى للمخاطب بطريق خفي وبلغ نظراً لمراعاة الحال، وهو في القرآن الكريم كثيراً، ومنه ما سنذكره في أمثلة الأسلوب الحكيم، وذلك للحاجة إليه بسبب التدافع الحاصل

<sup>1</sup> سورة النمل: الآية 46، 45.

<sup>2</sup> ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، (ب ط)، 1984، ج19، ص280.

بين الرسل وأقوامهم فيحتاجون أحيانا للتعريض بهم بدل التصريح ومثاله: قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرُزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>1</sup>، هذا من تلقي المخاطب بغير ما يترقب، ومناسبة ذلك أنه بعد أن ردَّ الله تعالى على المشركين الذين حرّموا على أنفسهم ما لم يحرّمه الله عليهم من لحوم الانعام وغيرها، وبين فساد قولهم: إن الله حرم علينا كذا وكذا<sup>2</sup>.

**3- التلطف:** وغالبا ما نجده في القرآن الكريم مع القوم المكذّبين الذين لم يؤمنوا بما جاء به الرسل ﷺ ذلك من أجل تليين قلوبهم وترويض نفوسهم و تأليفها بكل لطف قصد هدايتهم وإيمانهم والرجوع عن غيهم وعنادهم. ونجلي من الغرض نبداً بقوله تعالى حاكيا عن قوم نوح مع قومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>.

هذا مقطع من قصة نوح مع قومه ساقها الله في قالب أسلوب الحكيم، حيث توهم القوم أن الحق ما هم عليه فلم يتركوا لنوح الفرصة ليبين لهم أنه رسول من الله، فنسبوا إليه ضلال وجعلوه متمكنا منه ويريدون بذلك نفي الرسالة عليه، فنهج الأسلوب الحكيم وتلقاهم بخلاف مرادهم.

**4- الانكار:** وهو أيضا من الأغراض التي قصدت من إجراء الأسلوب الحكيم في القران الكريم وذلك قصد الانكار على الكافرين والمكذّبين ما يصدر منهم في حق الله ورسله، ومن امثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿كَأَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَّمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿وَنَزَّيْنَهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾<sup>4</sup>.

فجملة " أطلع الغيب " جواب لكلامه على طريقة الأسلوب الحكيم بجمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيحده حين يبعث، فالاستفهام في قوله: "اطلع الغيب"

<sup>1</sup> الانعام، الآية 151.

<sup>2</sup> ابو حفص، تح، عادل احمد عبد الموجود وعلى محمد معوض: اللبان في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1998، ص8، ص502.

<sup>3</sup> سورة الاعراف، آية 62، 59.

<sup>4</sup> سورة مريم، آية ( 80، 77).

انكارى وتعجيبى ..... والمعنى: أشرف على عالم الغيب فرأى مالا وولدا معدين له حين يأتي يوم القيامة، أو فرأى ماله وولده صائرين معه في الآخرة .<sup>1</sup>

**5- التهديد:** ومن أمثله في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾<sup>2</sup>. وهو جواب على مقرره الطيبى على الأسلوب الحكيم، فإنهم حين طلبوا ما طلبوه مع وجود آيات متكاثرة دل على أن سوى لهم للتعنت .... فأجيبوا بما أجابوا ليؤذن بأن سؤالهم سؤال المقترحين يستحقون به نعمة الله تعالى وحلول عقابه يعني أنه لا بد أن يستأصل شأفتكم، لكن لا أعلم متى يكون وانتم كذلك لأن ذلك من الغيب وهو مختص به تعالى لا يعلمه أحد غيره- بل شأنه - وإذا كان كذلك فانتظروا ما يوجهه اقتراحكم أني معكم من المنتظرين إياه.

وهذا تعريض بالتهديد لهم أن ما يأتي به الله لا يترقبون منه إلا شر لهم<sup>3</sup>.

**6- الصرف:** وهو صرف المخاطبين أو السائلين من الشيء الذي يترقبونه أو يتطلبونه الى شيء آخر وبذلك يعد من الأغراض الأسلوب الحكيم التي جاء بها القرآن الكريم. ومثال ذلك: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعل له آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا<sup>4</sup>.

وكانت محاورتها الملك محاورة قصدت بها صرفه عن ما جاء لأجله، لأنها علمت أنه مرسل من الله فأرادت مراجعة ربه في أمر لم تطقه، كما راجعه إبراهيم عليه السلام في قوم لوط، وكما راجعه محمد عليه الصلاة والسلام في فرض خمسين صلاة، ولكن الله صرفها من النظر في العاقبة التي تخيفها من جراء كلام الناس من الحكمة التي أرادها الله تعالى من الناس وتوجيهه بأن ما اشتكته من توقع ضد قولها وطعنهم من عرضها ليس بالأمر العظيم في جانب ما أراد الله في هدي الناس لرسالة عيسى عليه السلام، بأن الله تعالى لا يصرفه عن إنفاذ مراده ما عسى أن يعرض من ضرر في ذلك لبعض عبيده لأن مراعاة المصالح العامة تقدم على مراعاة المصالح الخاصة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص. 159، 160.

<sup>2</sup> سورة يونس، آية 20.

<sup>3</sup> محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 11، ص 131.

<sup>4</sup> سورة مريم، آية 21، 20.

<sup>5</sup> محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 16، ص 83.

## 5-التغليب :

### أ-لغة:

من غلب، أي قهره، وغلب على صاحبه: حُكم عليه بالغبلة، وتغلب على بلد كذا: استولى عليه قهرا، وغلبت أنا عليه تغليبا<sup>1</sup> .

### ب-اصطلاحا:

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل: ترجيع أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين<sup>2</sup> .

وهو كذلك إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم لأخر، يجعله موافقا له في الهياة أو المادة كما في قوله تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنِ الْقَائِنِينَ﴾<sup>3</sup> ، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: وكانت من القائتات<sup>4</sup> ، فعدت الأثنى من المذكر بحكم التغليب. ومن فوائده الإيجاز في العبارة، مناسبة المعنى وكذلك المواجهة والتحقيق والتمييز.

### 5-1-أنواعه:

#### أ: تغليب المذكر .

❖ كقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾<sup>5</sup> ، غلب المذكر؛ لأن الواو جامعة؛ لأن لفظ الفعل مقتضى ولو اردت العطف امتنع<sup>6</sup> .

فالقمر مذكر والشمس مؤنث مجازي يجوز معها تأنيث الفعل ويجوز تذكيره، ففضل التذكير للغبلة<sup>7</sup> .

#### ب:تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب .

فيقال: أنا وزيد فعلنا، وأنت وزيد تفعلان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَجْهَلُونَ﴾<sup>8</sup> .

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص651.

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص812.

<sup>3</sup> سورة التحريم، الآية 12.

<sup>4</sup> بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ج1، ص290.

<sup>5</sup> سورة القيامة، الآية 9.

<sup>6</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص812.

<sup>7</sup> إبراهيم محمود دعلان، البديع في القرآن، أنواعه ووظائفه، ص315.

<sup>8</sup> سورة النمل، الآية 55.

بناء الخطاب غلب جانب (انتم على جانب قوم)، والقياس أن يجيء بالياء؛ لأنه وصف القوم وقوم اسم غيبة، ولكن حَسُنَ آخر الخطاب وصفال (قوم) لوقوعه خبراً عن ضمير المخاطبين. لأن في ضمير الخطاب معنى الإشارة لملازمة لها أو لمعناها، لكان متجهاً وإن لم تساعد الصناعة لكن يعده أن المراد وصفهم بجهل مستمر، لا مخصوص بحال الخطاب، ولم يقل (جاهلون) إيذاناً بأنهم يتجددون عند كل مصيبة لطلب آيات جهلهم<sup>1</sup>.

### ج: تغليب العاقل على غيره.

وذلك بأن يتقدم لفظ يعم من يعقل ومن لا يعقل، فيطلق اللفظ المختص بالعاقل على الجميع . كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>2</sup>، فمعنى (يذروكم فيه) ييثكم ويكثركم في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين الذكور والإناث التوالد والتناسل، وقد جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للث والتكثير، ولذا عبر بالحرف (في) دون (الباء) فقيل: (يذروكم فيه) ولم يقل: (به)<sup>3</sup>.

### د: تغليب المتصف بالشيء على مالم يتصف به:

❖ في قوله ﴿وَعَلَىٰ﴾: ﴿فَلَمَّا أَجَاهُمْ إِذَا هُم يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>4</sup>.

مقتضى السياق في الآية إنما بغيهم على أنفسهم، فلفظ (أيها الناس) المقصود بهم أولئك الباغيين، ولكنه سبحانه وتعالى جعل النداء عاماً لكل الناس لعلمه السابق بأن النفس أمانة بالسوء فخطب الناس بهذا النداء ليحذرهم جميعاً وليعلم الجميع أن لكل فعل مقابلاً من ثواب أو عقاب وهذا من باب تغليب الموصوف على غير الموصوف.

### هـ: تغليب الاكثر على الأقل:

بأن ينسب إلى الجميع وصف يختص بالأكثر<sup>5</sup>.

❖ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 813.

<sup>2</sup> سورة الشورى، الآية 11.

<sup>3</sup> بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، ج 1، ص 291.

<sup>4</sup> سورة يونس، الآية 23.

<sup>5</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 816، 817.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ<sup>1</sup>، جاء في الآية السابقة لفظ (الأرض) سعة مدلولها، ما يشعر بعظم ذلك التمكين، فالأمر ليس متعلقا بمدينة أو قرية أو مملكة، بل الأرض كلها، وحتى لو كان المراد بالأرض ارضا خاصة .

نستنتج مما سبق أن ورود لفظ الأرض) بهذا الشكل من التعميم والشمولية أخفى ظلالاً كبيراً على دلالة السعة، وعظم تمكين الله ﷻ له<sup>2</sup>.

و: تغليب الجنس الكثير الافراد على فرص من غير هذا الجنس مغمور فيما بينهم، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع:

❖ كقوله ﷻ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ<sup>3</sup>، عد إبليس منهم، مع أنه كان من الجن تغليبا لكونه جنبا واحدا فيما بينهم، ولأن حمل (الاستثناء) على الإتصال هو الأصل، و يدل على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه: (خلقت الملائكة من نور والجن من نار).

وقيل: أنه كان ملكا فسلب الملكية، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع من الملائكة. قال الزمخشري: كان مختلفا بهم فحينئذ عمته الدعوة بالخلطة لا بالجنس، فيكون من تغليب الأكثر هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً ولم يجعل (إلا) بمعنى (لكن). وقال ابن جني في (القد)<sup>4</sup>.

ز: تغليب الموجود مالم يوجد:

❖ قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>5</sup>، في لفظ (مرجعكم جميعا) فهنا محكمة البعث يحدث فيها الجزاء على الأعمال المتفرقة في الحياة الدنيا، إذ أرسل على أعمالهم بغير جزاء على الحسن والقبيح لاستوى المحسن والمسيء وربما كان بعض المسيئين في هذه الدنيا أحسن فيها حالا.

<sup>1</sup> سورة يوسف، الآية 21.

<sup>2</sup> عوبيص بن حمود يوسف العطوي، جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د ط)،

2010م، ص43.

<sup>3</sup> سورة الحجر، الآية (31،30).

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص818.

<sup>5</sup> سورة يونس، الآية 4.

## ح: تغليب السلام:

❖ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا.....الْعُرُوزُ﴾<sup>1</sup>، في قوله: (ان وعد الله حق ) تعليل لعدم الجزاء، وقوله بالثواب والعقاب ففي الوعد تغليب، أي بتغليب الوعد على الوعيد أو هو بمعناه اللغوي حق ثابت متحقق لا يخلف وعد إخلاف الوعد بالثواب مما لا كلام فيه، أما عدم إخلاف الوعد بالعقاب ففيه كلام والحق أنه لا يخلف أيضاً<sup>2</sup>.

❖ وقوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾<sup>3</sup>، في الآية السابقة أثر الإظهار على الإضمار، لتحقيق حالهم بتغليب جانب الله على جانب أهويتهم في شباهم، فقالوا ربنا أي من ربنا بنعمة الكهف. لمفارقة الكفار رشداً أو هو توحيدك وعبادتك وهذا النوع من أنواع التغليب ما يعرف بتغليب الإسلام.

## ط: تغليب ما وقع بوجه مخصوص عل ما وقع بغير هذا الوجه:

❖ كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾<sup>4</sup>، ذكر الأيدي، لأن أكثر الأعمال تزاوّل بها فحصل الجمع بالواقع بالأيدي تغليب، أشار إليه الزمخشري في آخر آل عمران .

## ك: تغليب الأشهر:

❖ كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾<sup>5</sup>، أراد المشرق والمغرب، فغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين.

له فائدتان، إحداهما: جميع باب التغليب من المجاز، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا ترى أن القاتنين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث على غيره ما وضع له وقس على هذا جميع الأمثلة السابقة.

<sup>1</sup> سورة لقمان، الآية 33.

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1415هـ، ج11، ص105.

<sup>3</sup> سورة الكهف، الآية 13.

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية 182.

<sup>5</sup> سورة الزخرف، الآية 38.

الثانية: الغالب من التغليب أن يراعي الأشرف كما سبق، ولهذا قالوا في تثنية الأب والأم: أبوان وفي تثنية المشرق والمغرب المشرقان، لأن الشرق دال على الوجود والغرب دال على العدم والوجود لا محالة أشرف، وكذلك القمران قال: لنا قمرها والنجوم الطوالع.

أراد الشمس والقمر، فغلب القمر لشرف التذكير، وأما قولهم: سنة العُمَين يريدون أبا بكل وعمر، قال ابن سيده في المحكم: إنما فعلوا ذلك إشاراً للخفة أي غلب الأُخف على الأثقل، لأن لفظ عمر مفرد ولفظ أبي بكر مركب<sup>1</sup>.

وهكذا فإن التغليب هو ذكر شيء واحدة عوضاً عن شيئين يشتركان في صفة واحدة أو يوجه لهما خطاب واحد لنكتة وهي غلبته أو كثرته أو أهميته. وأخيراً لا بدّ من ذكر أن بعضهم قد ألحق التغليب بالمجاز وعلم البيان، ونحن نرى أنه نوع لطيف من البديع.

## 6- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

تعتمد الأساليب البليغة إلى مخالفة مقتضى الظاهر في ميدان استخدام الأفعال، فتعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبه على تحقق وقوعه، وأنه في حكم المنقضي الذي لا مدافعة فيه ووراء ذلك أيضاً إشارات بلاغية تأنسها الأذواق الصافية وتحسسها المدارك القوية<sup>2</sup>.

ومن روائعه ما كان على سبيل اقتطاع أحداث المستقبل التي سيتحقق وقوعها حتماً، وتقديمها في صورة أحداث تمّ وقوعها.

وقد أخذ السكاكي بيان سر هذه الطريقة من تحليل الزمخشري: يقول في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مُمَيَّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾<sup>3</sup> قال فتثير استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية من إثارة السحاب مسخراً بين السماء والأرض، متكوناً في المرأى تارة عن فرع، وكأنها قطع قطن مندوف، ثم تنضم متقلبة بين أطوار حتى يعدن ركاما وأنه طريق البلغاء لا يعدلون عنه إذا اقتضى المقام سلوكه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 819، 818.

<sup>2</sup> عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 159.

<sup>3</sup> سورة فاطر، الآية 09.

<sup>4</sup> محمد حسنين ابو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د د ت)

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>1</sup> ، تجد التعبير عن المضارع بلفظ الماضي في الآية الكريمة لسر بلاغي، وهو إفادة تحقق الوقوع، وأن ما هو للواقع في المستقبل وهو النفخ في الصور و صعوق من في السموات والأرض كالواقع الآن؛ لأنه واقع لا محالة.....<sup>2</sup>

وكذا قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾<sup>3</sup>

قيل (فزع) و (أتوه) والمراد فيفزع ويأتونه إذ الحدث لم يقع بعد، ولكن عبّر عنه بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه فهو واقع لا محالة...<sup>4</sup> و التعبير عن المضارع هنا يراد به الديمومة والاستمرار.<sup>5</sup>

### - التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو اسم المفعول:

على غرار التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو اسم المفعول لقصد التنبيه على تحقق الوقوع .

وقال التفتازاني في هذا الشأن: "فإن قلت كل من إسمي الفاعل والمفعول يكون بمعنى الاستقبال كما يكون بمعنى الماضي والحال ( . . . ) إلا أن دلالة الفعل على الاستقبال بحسب الوضع ودلالتهما عليه بحسب العارض، فالجملة إذا كان معناه الاستقبال يكون وارد على مقتضى الظاهر قلت نعم ولكن فيهما من الدلالة على تمكن الوصف وثباته ما ليس فيه الفعل6.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾<sup>7</sup> ومقتضى الظاهر أن يقال ( يقع ) لأن وقوع الدين (الجزاء) يحدث في المستقبل، لكنه خولف مقتضى الظاهر معبر عن المستقبل باسم الفاعل؛ تنبيهاً على تحقق الوقوع.

<sup>1</sup> سورة الزمر، الآية 68.

<sup>2</sup> بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ج1، ص292.

<sup>3</sup> سورة النمل، الآية 87.

<sup>4</sup> بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، ج1، ص292.

<sup>5</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص857.

<sup>6</sup> الجرجاني، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص167.

<sup>7</sup> سورة الذاريات، الآية 6.

والثاني كقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾<sup>1</sup> ومقتضى الظاهر (يجمع) لأن الجمع سيحصل يوم القيامة لكنّه خولف مقتضى الظاهر فعبر عن المستقبل باسم المفعول؛ تبيينها على تحقق وقوعه<sup>2</sup>. ويتم التفتازاني كلامه: ". . . هذا والكلام بعد محل نظر قلت: لإخلاف في أن اسم الفاعل والمفعول فيما لم يقع كالمستقبل مجاز، وفيما هو واقع كالحال حقيقة، وكذا الماضي عند الأكثرين فتنزيل غير الواقع منزلة الواقع والتعبير عنه بما هو موضوع للواقع يكون على خلاف مقتضى الظاهر"<sup>3</sup>.

وقد تناول الشوكاني هذا الأسلوب [التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي] في تفسيره وبين السر البلاغي أو الغرض البلاغي له "ويغلب ذكر هذا الأسلوب أو هذه الصورة كما يقول الشوكاني في تفسيره في الأمور المهولة التي تثير الرعب في القلوب، وخاصة في الأمور التي تتحدث عن الغيب كمشاهدة يوم القيامة أو عذاب النار لذا نجد السر البلاغي أو الفائدة المرجوة من هذا الأسلوب في معظم شواهد بقوله: جاءت للتبويه على تحقق وقوع الفعل، وأنه حاصل لا محالة في ذلك ولا يرتابه أدنى شك"<sup>4</sup>.

#### 7-التعبير عن الماضي لفظ المستقبل:

تعتبر الأساليب البليغة عن الماضي بصيغة المستقبل؛ لغرض استحضار الصورة العجيبة وهذا كثير في البيان القرآني.<sup>5</sup>

ومن التعبير عن الماضي بلفظ المضارع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾<sup>6</sup> فقد عبر عن الماضي بلفظ المضارع في قوله: (فتثير سحابا) استحضاراً لصورته العجيب البديعة الدالة على القدرة الإلهية الباهرة، وكأنها واقعة أمامك وأنت تشاهدها الآن وتأملها وتبصر ما فيها من عجب وغرابة فيكون تأثيرها أشد ووقعها أقوى...<sup>7</sup>

وقوله أيضا في شأن داود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾<sup>8</sup>. قال سبحانه (يسبحن) ومقتضى السياق أن يقال: (مسبحات)؛ لأن التسييح قد وقع في عهد

<sup>1</sup> سورة هود، الآية 103.

<sup>2</sup> ينظر: عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص160.

<sup>3</sup> الجرجاني، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص 167.

<sup>4</sup> محمد علوان: البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني، مجلة الزهراء، جامعة الأزهر، ع15، ص285.

<sup>5</sup> عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي: الكافي في علوم البلاغة العربية، ص160.

<sup>6</sup> سورة فاطر، الآية 9.

<sup>7</sup> بسويوني عبد الفتاح: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسالك المعاني، ص 294.

<sup>8</sup> سورة ص، الآية 18.

داوود عليه السلام، لكن غرابة صدور التسييح عن الجبال ودلالة ذلك قدرة العزيز استدعت التعبير عن ذلك بصيغة المضارع التي نقلت الحدث من الماضي البعيد وعرضته في مقام المشاهد؛ ليستيقن منه ولا يناقش فيه. قال الزمخشري: ( ما اختير يسبحن) على ( مسبحات) إلا لذلك، وعن الدلالة على حدوث التسييح من الجبال شيئاً بعد شيء وحال بعد حال، كأن السامع حاضر تلك الحال يراها تسييح.<sup>1</sup>

وقد سبق كثير في نوع في نوع الالتفات ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهتدة المتوعد بها فيعدل فيه الى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه، واعتبر ابن الأثير التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي أو عكسه من باب الالتفات، وهذا عند تعريفه للالتفات: ( وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وعن شماله فهو ينقل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب، أو من خطاب غائب الى حاضر، أو من فعل ماضي إلى مستقبل، أو من مستقبل الى ماضي).<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> عيسى علي العاكوب و علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص 160.

<sup>2</sup> ضياء الدين ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،

## 8-القلب :

أ - لغة:

جاء في كتاب أساس البلاغة للزمخشري: "قلب الشيء قلباً: حوّله عن وجهه. وحجر مقلوب. وكلاماً مقلوب. وقلب رداءه. وقلبه لوجهه: كبه. ظهرأً وقلبه ظهرأً لبطن. وقلب البيطار قوائم الدابة: رفعها ينظر إليها. وتقلب على فراشه... " <sup>1</sup>.

أما لسان العرب: " وقلبت الشيء فانقلب أي انكب، وقلبتة بيدي تقليياً وكلاماً مقلوب، وقد قلبته فأنقلب فتقلب. والقلب أيضاً: صرفك إنساناً، تُقلبُه عن وجهه الذي يريد. وقلب الأمور: بحثها، ونظر في عواقبها... " <sup>2</sup>

ب - اصطلاحاً:

ومن الخروج عن المقتضى الظاهر ظاهرة " القلب " ويكون القلب بإجراء التبادل بين جزئيين من أجزاء الجملة لغرض بلاغي يستحسنه الفطناء، ويُلاحق به القلب في التشبيه.

واستعمال القلب في التشبيه يتضمن ادعاء أن الصفات في المشبه أفضل منها في المشبه به فيأتي القلب أبلغ إذا كان التشبيه دقيقاً ومتقناً مختاراً ببراعة. ومن القلب قول الشاعر: " يكون مزاجها عسل وماء " وكان مقتضى الظاهر أن يقول: تكون مزاج العسل والماء، إلا أن الشاعر أجرى القلب بين جزئيين من أجزاء جملة <sup>3</sup>.

## 8-1-أنواع القلب:

أ- التبديل: وهو عكس الكلمات في الترتيب لقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ <sup>4</sup>.

ب-مقلوب البعض : وهو أن تكون الكلمة الثانية مؤدية من حروف الكلمة الأولى مع بقاء بعض حروف الكلمة الأولى كقوله تعالى ﴿ فَرَقَّتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ <sup>5</sup> فبني مركبة من حروف (بين) وهو مفرّق إلا أن الباقي بعضها في كلمتين وهو أولها <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، ص 856.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص685.

<sup>3</sup> عبد الرحمان حبنكة الميداني، البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 519.

<sup>4</sup> سورة يونس، آية 31.

<sup>5</sup> سورة طه، آية 94.

<sup>6</sup> عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص809.

ج - قلب الإسناد: وهو أن يشمل الإسناد الى الشيء والمراد غيره لقوله تعالى : ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾<sup>1</sup>، إن لم تجعل الباء للتعدية، لأن ظاهرة أن المفاتيح ومعناه: أن العصبه تنوء بالمفاتيح لثقلها، فأسند ( لتنوء) إلى المفاتيح والمراد إسناده للعصبه لأن الباء للحال والعصبه مستحبة المفاتيح وفائدته المبالغة بجعل المفاتيح كأنها مستتبعة للعصبه القوية بثقلها.

د- قلب العطف: أما أن تجعل المعطوف عليه معطوفاً، و المعطوف معطوفاً عليه، كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾<sup>2</sup>، حقيقته فأنظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأت مع توليه عنهم، وما يفسر به التولي من أنه يتوارى من الكرة التي ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجعة إليه<sup>3</sup>.

هـ - قلب المجنح: وهو أن يكون أحد الطرفين من البيت أو المصراع قلباً للأخر كقول الشاعر:  
لاح أنوار الندى من \*\*\* كفه من كل حال.

و - قلب المستوى: وهو ما يقرأ طرداً أو عكسا وهو نوع صعب المسلك قليل الاستعمال وجاء منه في التنزيل قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>4</sup> وقوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾<sup>5</sup>  
-وأصل الحسن في هذه الأنواع أن تكون الألفاظ توابع للمعاني غير متكلفة لتحصيل البديع، وكثيرا ما يورد الأصحاب ها هنا أنواعا أخرى مثل التزام كون الحروف معجمة أو مهملة، أو بعضها معجم وبعضها مهمل: ذلك أن تستخرج منها ما أحببت<sup>6</sup>.

## 8-2- اضرب القلب: وللقب ضربان:

أ- ما يوجب تصحيح حكم لفظي والمعنى صحيح من دونه، وذلك كقول القطامي:  
قفي قبل التفرق يا ضباعا \*\*\* ولا يك موقف منك الوداعا.

لما جاء ب (موقف) نكرة وهو في موضع الابتداء وب (الوداع) معرفة وهو في موضع الخبر جعل من باب القلب؛ إذاً التقدير: ولا يك الوداع موقفا منك؛ لأن الأصل أن تكون المعرفة مبتدأ أو نكرة خبراً.

<sup>1</sup> القصص، آية 76.

<sup>2</sup> سورة النمل، آية 28.

<sup>3</sup> عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص(806-808).

<sup>4</sup> سورة الانبياء، الآية 33.

<sup>5</sup> سورة المدثر، الآية 3.

<sup>6</sup> ابن الناظم، المصباح، ص 201، 202، 203.

ب- ما يوجب تصحيح المعنى: كقولهم: (عرضت الناقة على الحوض)، مقتضى الظاهر أن يقال: (عرضت الحوض على الناقة؛ لأن المعروض عليه يتحتم أن يكون ذا شعور لكي يقبل ما يعرض عليه أو يرفضه، ولكن قلب هذا الوضع على خلاف مقتضى الظاهر وحل كل من الجزئيين محل الآخر وأعطي حكمه، ومبعث هذا القلب مخالفة العادة، إذ العادة أن يقدم المعروض للمعرض عليه أما هنا فتحالف هذه العادة ويؤتي بالناقة للحوض، وهو ثابت في مكانه، ولذلك نزل أحدهما منزلة الآخر<sup>1</sup>.

### 8-3- مواقف وانتقادات حول القلب:

وفي كونه من اساليب البلاغة خلاف، فأنكره جماعة: منهم حازم في كتاب "منهاج البلغاء" وقال: إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه، لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال اضطرار، والله منزّه عن ذلك .

وفصّل آخرون بين أن يتضمن اعتباراً لطيفاً فبلغ، وإلا فلا؟ و لهذا قال ابن الضائع: يجوز القلب على التأويل، ثم قد يقرب فيصح في فصيح الكلام، وقد يعد فيختص بالشعر<sup>2</sup>. وعلى هذا فقد انقسم البلاغيين في قبول القلب ورفضه ثلاث مواقف:

أ- **القبول المطلق**: وهو موقف السكاكي الذي قال: "إنه مما يورث الكلام ملاحاً ووجهة أن قلب الكلام يحوج السامع إلى أن ينتبه لإخراج أصل الكلام". ويعني هذا أن قلب الكلام يستدعي من المتلقي تأمل العبارة ومحاولة إدراك الوضع الطبيعي لها، فإذا تأتي له ذلك أحسن بشيء من اللذة المتأنية من ادراك انزياح العبارة عن أصلها، ولذة التعرف لذّة عظيمة .

ب- **الرفض المطلق**: وهو موقف بعض البلاغيين غير السكاكي، وقد ترامى لهؤلاء أن ما جاء منه من نماذج لا يعدوا أن يكون صوراً من التقديم والتأخير.

ج- **القبول المشروط بتحقيق جمالية تعبيرية ودلالية**: وهو رأي جمهرة علماء البلاغة الذين قالوا إن القلب غير جدير بأن يدخل ميدان البلاغة إلا عندما يتضمن اعتباراً لطيفاً ومغزى طريفاً زائداً على مجرد الجمالية المتأنية من تعرف الأصل وإدراك التغيير الحاصل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص155.

<sup>2</sup> محمد علي الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص805.

<sup>3</sup> عيسى علي العاكوب وسعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص157.

# الفصل الثاني

# خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة و جمالياته

اولا: التعريف بالمدونة

ثانيا: ما يخص الاسناد الخبري

ثالثا: ما يخص المسند اليه وسائر الجملة

## أولاً: التعريف بالمدونة:

❖ : تسمياتها:

❖ ذكر أهل التفسير وعلوم القرآن لسورة البقرة عدة أسماء منها:

❖ البقرة:

❖ وهذا هو الاسم المشهور لهذه السورة، سُميت سورة البقرة في المروى عن النبي ﷺ وما جرى في

كلام السلف، فقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قال: "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه".

قوله: "كفتاه" قيل كفتاه من كل سوء، وقيل: شر الشيطان، وقيل: دفعنا عنه. ووجه تسميتها أنها

ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك<sup>1</sup>.

❖ سنام القرآن:

❖ وقد جاء هذا الاسم في قوله ﷺ: "إن لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها

في بيته نهاراً لم يدخله شيطان ثلاثة أيام، ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال".

وأخرج أحمد، ومحمد بن ناصر، والطبراني بسند صحيح، عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:

"البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿لَلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>2</sup>، من تحت العرش فوصلت بها"<sup>3</sup>. ووجه التسمية بذلك: أن سنام كل شيء

أعلاه وهذا ليس علماً لها ولكنه وصف تشريف.

❖ فسطاق القرآن:

❖ قال خالد بن معدان أنها فسطاق القرآن والفسطاق ما يُحيطُ بالمكان، لعظمتها وبهائتها وشرفها

وفضلها، ولإحاطتها بأحكام كثيرة. التي لم تذكر في غيرها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص201 .

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 255.

<sup>3</sup> محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، تح: يوسف العُوش، دار المعرفة، بيروت. لبنان، ط4، 2007م، ص21.

<sup>4</sup> ينظر: ابن عاشور، تحرير والتنوير، ص201. وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة

الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 2008م، ص122.

## ❖ الزهراء:

ففي الصحيح غن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران" 1.

❖ وأصل الزهر: الحسن والضياء والصفاء، والزهرة: النجم المعروف، والأزهر: القمر، وزهرت النار:

بمعنى أضاءت 2، والزهراوان: النيرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة: فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة 3.

## ❖ الكرسي:

وسميت بذلك بسبب اشتغالها على أعظم آية في القرآن، وهي آية الكرسي 4. والظاهر أن سنام القرآن وفسطاط القرآن هما وصفان جليان لسورة، لكثرة أحكامها وعظيم فضلها، وثواب قراءتها لكنهما ليسا اسمين من اسمائها التوقيفية والله اعلم 5.

❖ وقد كره بعضهم أن يقال: سورة كذا، لما رواه الطبراني [في الأوسط: 5751] والبيهقي [في

الشعب 9330] عن أنس مرفوعاً: "لا تقولوا: سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء وكذا القرآن كله". وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع 6.

## ❖ ترتيب سورة البقرة وعدد آياتها

سورة البقرة هي السورة الثانية في ترتيب المصحف الشريف بعد سورة الفاتحة، وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة المطففين وقبل آل عمران وعدد آياتها

<sup>1</sup> مسلم بن الحجاج، الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، (د ط)، 1998م، كتاب صلاة المسافرين، 804، 805.

<sup>2</sup> بن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1995م، ص 462، 463.

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1995م، ج 4، ص 5.

<sup>4</sup> ينظر: مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، لجنة

إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د ط)، 1992م، ج 1، ص 134.

<sup>5</sup> إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، مركز تفسير الدراسات

القرآنية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ج 1، 20-06-2010م، ص 20.

<sup>6</sup> سيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 119.

مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام. وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة<sup>1</sup>.

❖ واختلافهم في أحد عشرة آية: ﴿الم﴾ [البقرة: 1] عدها الكوفي ولم يعدها الباقون ﴿عذاب أليم﴾ [البقرة: 10] وعدها الشامي ولم يعدها الباقون ﴿مصلحون﴾ [البقرة: 11] ولم يعدها الشامي و عدها الباقون ﴿إلا خائفين﴾ [البقرة: 114] عدها البصري ولم يعدها الباقون ﴿ياأولي الألباب﴾ [البقرة: 179] لم يعدها المدني الأول والمكي وعدها الباقون. ﴿من خلق﴾ [البقرة: 200] لم يعدها المدني الأخير وعدها الباقون ﴿وماذا ينفقون﴾ [البقرة: 219] عدها المدني الأول والمكي ولم يعدها الباقون ﴿لعلكم تتفكرون﴾ [البقرة: 219] عدها المدني الأخير والكوفي والشامي ولم يعدها الباقون ﴿قولاً معروفاً﴾ [البقرة: 235] عدها البصري ولم يعدها الباقون ﴿الحي القيوم﴾ [البقرة: 255] عدها المدني الأخير والمكي والبصري ولم يعدها الباقون ﴿من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: 257] عدها المدني ولم يعدها الباقون<sup>2</sup>.

عدد حروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف، وعدد كلماتها ستة آلاف ومائة وعشرون كلمة، وقيل: ستة آلاف ومائة وواحد وعشرين كلمة<sup>3</sup>.

❖ مدنية السورة:

سورة البقرة مدنية بالإجماع، بل ورد أنها أول سورة نزلت بالمدينة، وفي هذا عدة آثار عن الصحابة والتابعين؛ فقد ورد من عدة طرق عن عبدالله ابن العباس قال: "نزلت بالمدينة سورة البقرة". وقال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري [8-160]: "واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة نزلت بها". ولكن هذا لا يعني أن كل آياتها أول من نزل بالمدينة، فقد دلت أدلة كثيرة على أن آيات كثيرة بالسورة نزلت متأخرة، قال ابن تيمية في مجموع فتاوى [17-193]: "والبقرة وإن كانت مدنية بالاتفاق، وقد قيل: إنها أول ما نزل بالمدينة فلا ريب أن هذا في بعض ما نزل وإلا فتحريم الربا:

<sup>1</sup> ابن عاشور، تحرير وتنوير، ص201.

<sup>2</sup> أبي عمرو الداني، البيان في عد آي القرآن، 140، نقل عن: التفسير الموضوعي، ج1، ص25.

<sup>3</sup> ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار الطيبة، ط2، 1999م، ج1، ص149.

إنما نزل متأخراً، وقوله: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: 281] من آخر ما نزل، وقوله: ﴿واتموا الحج والعمرة لله﴾ نزلت عام الحديبية سنة ست باتفاق العلماء<sup>1</sup>.

فإنه آخر آية نزلت من السماء، ونزلت يوم النحر في حجة الوداع<sup>2</sup>.

وإذا كانت الروايات في عمومها تفيد أن سورة البقرة نزلت بعد الهجرة، فإن هناك حديثاً يستثني خواتيم سورة البقرة، ويؤكد أنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج: أي في العهد المكي وفق المشهور من أقوال العلماء<sup>3</sup>.

حيث روى أبي مسعود رضي الله عنه: "لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال إذ يغشى السدرة ما يغشى، قال فراش من ذهب، قال فأعطني رسول الله ﷺ وسلم ثلاثاً أعطي الصلوات الخمس وأعطيت خواتيم سورة البقرة وغفر لمن يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات"<sup>4</sup>.

❖ وصفوة القول أن سورة البقرة هي أول مل نزل بعد الهجرة، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني حيث نزلت الآية [281] منها، والتي هي على الراجح آخر آية في القرآن، كما نزل قبيلها آيات الربا، فيما تقدمت خواتيم السورة سائرهما فنزلت قبيل الهجرة، لكن غالب آيات السورة قد نزل في بدايات الهجرة.

❖ فضائل السورة:

سورة البقرة فضلها عظيم وثوابها جسيم، وقد ورد في ورد في فضائلها أحاديث كثيرة، وآثارها عن الصحابة واسعة، فإن قيل: ما الحكمة من أن سورة البقرة أعظم السور ما عدا سورة الفاتحة؟ وذلك

<sup>1</sup> ينظر: إعداد مجموعة من العلماء، التفسير الموضوعي، ج1، ص24، 25.

<sup>2</sup> ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص52.

<sup>3</sup> أكرم نباء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط3، 1993م، ج1، ص188، 189.

<sup>4</sup> الإمام أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية،

كتاب الإيمان رقم(173)، باب في ذكر سدرة المنتهى(76).

لأنها فصلت فيها الأحكام وضُربت الأمثال، وأقيمت الحجج، إذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه سورة البقرة؛ ولذلك سميت بفسطاط القرآن<sup>1</sup>.

❖ ومن فضائلها ما هو خاص بها ومنها ما هو خاص بخواتيمها، ومنها ما هو خاص بآية الكرسي التي ورد فيها، ومنها ما ورد في فضلها مع سورة آل عمران.

❖ فضائل السورة منفردة:

❖ عن العباس قال: "كنت مع الرسول ﷺ يوم حنين ورسول الله ﷺ على بغلته التي أهداها له الجذامي فلما ولى المسلمون قال لي رسول الله : يا عباس ناد: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب البقرة وكنت رجلا صيتا فقلت: يا أصحاب السمرة يا أصحاب سورة البقرة"، رواه بلفظه ابن أبي حاتم و الحديث عند مسلم برقم [3324]. وقد استمر هذا الأمر بعد وفاة النبي ﷺ حتى لكان السورة صارت علما لأهلها؛ فقد ورد عن عروة بن الزبير أنه قال: "كان شعار أصحاب النبي ﷺ يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة". أخرجه سعيد بن منصور في سننه [2908]2.

❖ من قرأها آنتسته في قبره:

❖ عن أبي عمران أنه سمع أبا الدرداء يقول: إن رجلا ممن قد قرأ القرآن أغار على جار له فقتله وأنه أقيد منه فقتل، فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة حتى بقيت البقرة. وآل عمران جمعة ثم إن آل عمران انسلت منه فأقامت البقرة جمعه.

❖ فقيل لها: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>3</sup>.

❖ قال: فخرجت كأنها السحابة العظيمة قال أبو عبيد يعني كانت أُنْها معه في قبره تدفعان عنه و تؤنسانه فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن .

❖ الشيطان ينفر من البيت التي تقرأ:

<sup>1</sup> إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الحلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط)، 1117هـ، ج1،

<sup>2</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 202.

<sup>3</sup> سورة ق، الآية 29.

❖ فيه عن أبي هريرة مرفوعاً: و أخرج مسلم، والترمذي، وأحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر، أن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة<sup>1</sup>.

❖ أنها سنام القرآن:

❖ عن سهل بن سعد الساعدي قال: " قال: رسول الله ﷺ إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة. من قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاث أيام ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله الشيطان ثلاث ليال<sup>2</sup>".

❖

❖ تنزل الملائكة لقراءتها:

❖ أخرج أبو عبيد، وأحمد، والبخاري في صحيحه تعليقاً، ومسلم، والنسائي عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة و فرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فسكت، فسكنت، ثم قرأ فجالت فسكت، فسكنت، ثم قرأ فجالت. فانصرف إلى ابنه يحيى وكان قريب منها فأشفق أن تصيبه فلما أخذه رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث رسول الله ﷺ بذلك فقال رسول الله: " أتدري ما ذاك؟ قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها لا تتوارى منهم<sup>3</sup>.

❖ قارئها جدير بأمانة قومه:

❖ عن أبي هريرة قال: " بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد فاستقراهم فاستقرأ كل رجل منهم. يعني: ما معه من القرآن. فأتى على رجل من أحدثهم سناً، فقال ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال اذهب فأنت أميرهم". (أخرجه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: إعداد نخبة من العلماء، التفسير الموضوعي، ج1، ص20. وينظر الشوكاني، فتح القدير، ص21.

<sup>2</sup> نفس المرجع.

<sup>3</sup> إعداد نخبة من العلماء، التفسير الموضوعي، ج1، ص20. وينظر الشوكاني، فتح القدير، ص21.

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص21، 22.

❖ فضائلها مع آل عمران مجتمعتين:

❖ تأتيان تحاجان عن صاحبهما:

❖ في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( اقرؤوا القرآن فإنه

يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: سورة البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم

القيامة كأتهما غيايتان وكأتهما غمامتان أو كأتهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤوا

سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة"1.

❖ فيهما اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب:

❖ عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث؛

في البقرة وآل عمران وطه، يعني الحي القيوم". (أخرجه الحاكم و ابن ماجه)2.

❖ من قرأهما عد من الصحابة عظيماً:

❖ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا: يعني

عظم". (أخرجه أحمد ، و ابن حيان، و البغوي في شرح السنة)3.

❖ فضائلها مع السبع الطوال:

❖ وهي السور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معا أو يونس

على قول آخر. وقد ورد في فضل هذه السبع عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: " من أخذ السبع

الأول من القرآن فهو حبر" والحبر العالم؛ وذلك لكثرة ما فيها من أحكام وشرائع و الله أعلم. (رواه

أحمد في مسنده، والطبراني، وسنده صحيح).

❖ وورد عنه ﷺ أنه قال: " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال و أعطيت مكان الزبور المتين و

أعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل". (أخرجه ابن الضريس، و ابو جعفر النحاس، و أبو

عبيد)1.

<sup>1</sup> ابن عاشور، تحرير والتنوير، ص 201.

<sup>2</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 21، 22.

## ❖ محور السورة:

❖ سورة البقرة كغيرها من السور المدنية تعني بالتشريع، لتنظيم شؤون الحياة، لذلك هي تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها مزدوج، فهي من ناحية تدور حول موقف بني اسرائيل من الدعوة الإسلامية ومواجهتهم للرسول ﷺ وللمؤمنين، ومن ناحية أخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في بداية نشأتها واعدادها لحمل الأمانة، فكل موضوعات السور تدور حول هذا المحور المزدوج 2.

❖ وإن تنظيم شؤون الحياة يقتضي تأصيل العقيدة الإسلامية، لذلك بدأ بالحديث عن صفات المؤمنين في أول خمسة آيات، ومن ثم صفات الكافرين في آيتين، ثم صفات المنافقين في ثلاثة عشر آية؛ للمقارنة بين أهل النجاة وأهل الدمار، كما يقتضي التحدث عن قدرة الله ﷻ منذ بدأ الخليقة، وما حدث مع آدم و زوجته، وهبوطه إلى الأرض، ثم تناولت بإسهاب الحديث عن أهل الكتاب بما يزيد عن ثلثها عن جرائم بني إسرائيل، حيث إنهم لم يقدرُوا نجاتهم من فرعون، وعبدوا العجل واستكبروا في الأرض بغير الحق ونقضوا العهود و الموائيق، فستحق غضب الله ولعنته، وإنما كان الحديث عنهم بهذا الإسهاب؛ تنبيها وتحذيرا للمسلمين من خبثهم، ومكرهم وغدرهم، ونقصهم للعهد والموائيق 3.

❖ ثم بدأ بتفصيل تشريعات الإسلام بعد إجمالها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾<sup>4</sup> فذكر حكم القصاص، والوصية، والصيام، والاعتكاف، والحج، والمعاملات المالية، والإنفاق في سبيل الله ﷻ والصدقات، والموارث، والبيوع، والربا، وأحكام النساء، والطلاق، والنفقات والرضاع<sup>5</sup>، ثم تحدثت السورة عن الديون والرهن، فصاغت للمؤمنين دستورا من أدق الدساتير في حفظ الحقوق،

<sup>1</sup> إعداد نخبة من العلماء، التفسير الموضوعي، ج1، ص24، 23.

<sup>2</sup> ينظر: سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ، ص28.

<sup>3</sup> ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ص68.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 177.

<sup>5</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص205.

وضبطها ثم ختمت السورة حديثها الجامع عن العقائد، والشرائع، والآداب، والمعاملات بالدعاء<sup>1</sup> "1. بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup> 2.

❖ نرى أنه بالإمكان إيجاز محور السورة الرئيس في عبارة محدودة، وهي "خلافة الله في الأرض"، وأن هذه الخلافة، إنما استحقها من طبق شرع الله في الأرض، وهم أمة الحبيب محمد ﷺ، بخلاف إسرائيل الذين عتوا في الأرض فسادا، وخرجوا عن حكم الله في الأرض، ولم يطبقوا الأحكام التي تناولتها سورة البقرة.

❖ ثانياً: خروج المسند - الخبر - عن مقتضى الظاهر:

❖ قد لا يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، ولكنه ينزل منزلة الخالي منه لعدم جرية على موجب علمه له، فيلقى إليه بدون تأكيد كما يلقى الى الجاهل، ولا شك ان مراعاة ذلك له حظ في البلاغة أعلى من الحالة الاولى، وينزل منزلة المتردد، المتردد في ثبوت الحكم وعدمه حيث يجب تأكيد الحكم له، خصوصا إذا كان عنده ظن بخلافه، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، فيؤكد له الحكم تأكيده للمنكر، وكما ينزل غير المتردد منزلة المتردد وغير المنكر منزلة المنكر، وينزل المتردد والمنكر منزلة غير المتردد والمنكر، إذا كان معهما ما إنّ تأمله زال منهما التردد والإنكار وكذلك من صور الخروج الالتفات، الأسلوب الحكيم، والتعبير عن الماضي بلفظ المستقبل وعكسه، والإضمار موضع الإظهار وعكسه، وكذلك القلب والتغليب.

❖ تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر.

❖ "ومنها تتولد دلالات تخفي جملة من المكنونات النفسية والمعنوية البعيدة عند المتلقي قبل المتكلم؛ مما يضيف عليها طابعاً جمالياً ساحراً.

<sup>1</sup> ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، القاهرة، ط1، 1997م، ص 35.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 286.

❖ وقد أدرك البلاغيون والأدباء مدى جمالية هذا الأسلوب في الخطاب، وافتراقه من غيره؛ وهو أسلوب جارٍ على بلاغة كلام العرب، إذ يجعل فيه المتكلم مجال الإيحاء متجاوزاً الانطباعات المباشرة"1.

❖ وبعد تقصي السورة من بدايتها إلى نهايتها لم تقع أيدينا على أي نموذج أو حالة لمثل هذا التنزيل والله أعلم.

❖ تنزيل المنكر منزلة غير المنكر.

❖ قد ينزل المتكلم المخاطب المنكر لأي حكم منزلة غير المنكر؛ ويخاطبه على أنه خالي الذهن بخلاف مقتضى الظاهر، ومقتضى الحال... ويرى أن هذا الأسلوب يجعله أكثر ارتداعاً عن إنكاره.

❖ قوله تعالى: ﴿الم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾2، نجد أن الخطاب فيها موجه إلى المؤمن والكافر، ولكنها لم تعبأ بإنكار الكافر وتكذيبه رسالة محمد ﷺ، وتنزيل الكتاب فألقت الخبر بلا تأكيد: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، تنبيه على أنهم لا حق لهم في إنكاره وإلى أنه لو تأمل وتدبر لأقر بذلك ولم يجحده3.

❖ فالخطاب القرآني ينزل الكفار المعاندين المستكبرين منزلة من هو خالي الذهن، وغير المنكر للقرآن الكريم؛ فألقى إليهم الكلام بدون توكيد، على خلاف الظاهر لعلهم يعودون إلى رشدهم ويهتدون.

❖ "ابتدأت السورة الكريمة بذكر أوصاف المتقين، وقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي هذا القرآن المنزل عليك يا محمد هو الكتاب الذي لا يدينه كتاب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك في أنه من عند الله لمن تفكر وتدبر، أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، أي هاد للمؤمنين المتقين الذين يتقون سخط الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ويدفعون عذابه بطاعته، قال ابن عباس:

1 محمد الطواهي، جمالية الخبر والإنشاء "دراسة بلاغية جمالية نقدية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2009/12/31 - 08:05،

دمشق، ج6.

2 سورة البقرة، الآية 1، 2.

3 ينظر: بسوي، علم المعاني، ج1، ص47. وعبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص45.

المتقون هم الذين يتقون الشرك، ويعملون بطاعة الله، وقد أسند سبحانه الهداية للقرآن وهو من الإسناد للسبب، والهادي في الحقيقة هو الله رب العالمين<sup>1</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَالهَيْكُلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّ إِلَهٍ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>2</sup>، نجد أن الخطاب موجه إلى المشركين المعاندين الذين لا يقرون بالوحدانية لله تعالى، في قوله: ﴿وَالهَيْكُلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ورد الخبر خالياً من التأكيد، وكان مقتضى حالهم أن يلقي إليهم الكلام مؤكداً، ولكنهم نزلوا منزلة غير المنكرين، لعدم الاعتداد بهذا الإنكار، لأنهم لو تأملوا وتدبروا لأفلعوا عن إنكارهم، وأقروا بما ينبغي لجلال سلطانه وعظيم شأنه<sup>3</sup>.

❖ وتفسير قوله: ﴿وَالهَيْكُلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي إلهكم المستحق للعبادة إله واحد، لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أي لا معبود بحق إلا هو جلّ وعلا مؤلي النعم ومصدر الإحسان<sup>4</sup>.

❖ فالله سبحانه يخاطب منكري الوحدانية؛ ولكن الخطاب الإلهي أنزلهم منزلة من لا ينكر فلم يؤكد الخبر... وكذا نقول للكذاب: "الكذب حرام وبهتان وزور" أو كقولنا للمسلم الشارب الخمر: "شرب الخمر حرام، وضررها كبير في الصحة والمال".

❖ وقد يتبادر لذهن المتعجل الناظر في هذا الأسلوب باعتباره الشكلي الخارجي أنه ألقى للمخاطب غير المتردد؛ فيحكم عليه حكماً سريعاً؛ بيد أن جماليته المثيرة إنها تتجسد في التضاد الضمني؛ بما يقوم عليه السياق الإيحائي الذي يعتمد على حال المتلقي. فالغرض منه ليس مطلق الإخبار كما هو في فائدة الخبر أو لازم الفائدة؛ بل غرضه تحريك النفس على حقيقة حال المتلقي بما انطوت عليه من إنكار شديد للحقيقة. ولما انحرف الأسلوب اللغوي عن استخدام المؤكدات التي تلائم حال الشدائد الإنكار قدم جمالية بلاغية لا نظير لها. فصياغة التجربة الجديدة تصدر من

<sup>1</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 31، 32.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 163.

<sup>3</sup> ينظر: بسيوني، علم المعاني، ج 1، ص 46.

<sup>4</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 111.

مشكاة تجربة المتكلم مع المخاطب ودرايته بأحواله .ولهذا كثف تجربته بهذا الأسلوب اللغوي الموجز والمعبر الذي ينتفع به المتلقي أكثر مما ينتفع من الأسلوب الخبري الآخر المشحون بالمؤكدات 1.

❖ تنزيل غير المنكر منزلة المنكر

❖ كما ذكرنا سابقاً يعامل المتكلم المخاطب على أنه خالي الذهن، ولكنه ينزله منزلة المنكر وإن لم يكن في الحقيقة منكراً... والمنكر لأي حكم يظهر عليه شيء من الإنكار في تصرفه أو قوله على نحو ما... ويكون هذا النوع من الخروج بحيث ينزل غير المنكر كالمنكر، إذا بدا عليه شيء من أمارات الإنكار، فيلق إليه الخبر مؤكداً. ومثاله في:

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾<sup>2</sup>، نجد أن إلقاء الخبر إلى الذين آمنوا قد جاء بلا تأكيد: ﴿آمَنَّا﴾ وهذا يدل على أن نفوسهم غير ممتلئة به وأنه لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، أما إلقاءه إلى شياطينهم فقد جاء مؤكداً: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ وهذا ينبأ أن نفوسهم قد امتلأت بهذا القول وأنهم يقولونه عن صدق رغبة واعتقاد في الحكم وقصد رواجه، ويجدون فيه أريحية لا يجدونها في القول الأول 3 .

❖ "فقد لحظ فتور العبارة في قولهم للمؤمنين آمنا، ووثاقتهم في قولهم لإخوانهم إنا معكم، وفسر في ضوء ضعف الاعتقاد في الأولى، وقوته في الثانية، قال في ذلك: فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالإسمية محققة بإن؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ومنشئه من قبلهم لا في إدعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعد عليهم إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وكيف

<sup>1</sup> البشير جلول، التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية (مقال)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة. الجزائر، ع السادس، 2011م.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 14.

<sup>3</sup> بسبوني، علم المعاني، ص53. وعبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، ص46.

يقولون ويطمعون في رواجه، وهم بين ظهرائي المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل وأما مخاطبتهم اخوانهم فكانت عن ثباتاً لليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يُزالوا عنه"1.

❖ قد كان غرض إنزال الكفار بهذه المنزلة، ليفيد أن ما قرروه وأكدوه عن غير اعتقاد وأنه لا يروج منهم عندهم، سيبقى مؤكداً قوياً في علم الله وفي اعتقاد المؤمن، وليبرز كذبهم بنفس القوة والتأكيد الذي أكدوا به شهادتهم عن غير اعتقاد. وفي هذا توبيخ وتقريع لهؤلاء المنافقين2.

❖ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾3، فقد جاء الخبر مؤكداً إظهاراً لمعتقد النفس وإبرازاً له لتزداد النفس يقيناً به لأن مقامها يقتضي ذلك، فإنّ المصيبة قد تقلق النفس وتحز اليقين وعندئذ تلوذ النفس المؤمنة بكينونتها لله ورجعتها إليه فتعلن ذلك وتؤكدته لتثبت في مواجهة الشدة4.

❖ "قد وصف سبحانه الصابرين بأنهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ لإفادة أن صبرهم أكمل الصبر إذا هو صبر مقترن ببصيرة في أمر الله تعالى إذ يعلمون عند المصيبة أنهم ملك لله تعالى يتصرف فيهم كيف يشاء فلا يجزعون مما يأتيهم، ويعلمون أنهم صائرون إليه فيثبتهم على ذلك، فالمراد من القول هنا القول بالمطابق للاعتقاد إذ الكلام إنما وُضع للصدق، وإنما يكون ذلك القول معتبراً عما في الضمير فليس لمن قال هاته الكلمات بدون اعتقاد لها فضل وإنما هو كالذي ينعق بما لا يسمع.

❖ والتوكيد إنّ في قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ لأنّ المقام مقام اهتمام، ولأنه ينزل المصاب فيه منزلة المنكر كونه ملكاً لله تعالى وعبداً له إذ تنسيه المصيبة ذلك ويجول هو لها بينه وبين رشده. واللام فيه للملك"5.

❖ ثالثاً: حالات خروج الكلام في المسند إليه وكامل إجراء الجملة:

❖ الالتفات

<sup>1</sup> ينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لعلم المعاني، ص 93،94. والجرجاني، المطول، ص192.

<sup>2</sup> بسيوني، علم المعاني، ج1، ص53.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 156.

<sup>4</sup> محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص 98.

<sup>5</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص57.

❖ لون من ألوان الصياغة يعين ذا الموهبة الصادقة على الإيجاء بكثير من اللطائف والأسرار، ويلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثيراً من المزايا، وكلما أمعت النظر في مواطنه من الكلام الرفيع بانته لك وجوه من الحسن تزيدك إحساساً بقدرته<sup>1</sup> ومثاله:

❖ الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

❖ والمراد به: أن يجري سياق الكلام على ضمير التكلم ثم يتحول إلى ضمير الخطاب، وتتمثل بلاغة هذا الأسلوب في حث السامع على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية، وخصه بالموجة<sup>2</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>3</sup>، ففي هذه الآية انتقال من أسلوب التكلم من الرب الخالق للجميع حينما ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين والمنافقين، إلى أسلوب الخطاب اهتماماً بهم ربما سيأمرهم به.

❖ قال البيضاوي: لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات، هزا للسامع وتنشيطاً له، واهتماماً بأمر العبادة وتفخيماً لشأنه، وجبراً لكلفة العبادة بلذة المحاطبة.

❖ وقال أبي السعود: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم، وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق: مؤمنة به محافظه على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالجاهرة والشقاق، وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق، ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال، وبين ما لهم من المصير المآل، أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزاً لهم على الإصغاء، وتوجيهاً لقلوبهم نحو التلقي وجبراً لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب، فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به<sup>4</sup>.

❖ الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

<sup>1</sup> محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص 249.

<sup>2</sup> ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 820.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 21.

<sup>4</sup> راشد بن حمود الثنيان، عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، محمد بن سريع السريع،

❖ والمراد به: أن يكون السياق على أسلوب الخطاب، ثم ينتقل إلى أسلوب التكلم.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسْتَ تُجِيبُوا لِي

وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>1</sup>، "فالله جل وعلا يخاطب رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

عَنِّي﴾، وأعقبه مباشرة بأسلوب التكلم بقوله: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وكان

مقتضى السياق أن يكون: فقل لهم إني قريب، ولكن الله تولى الجواب، فهو قريب جل وعلا من

داعيه بالإجابة، وفيه إشارة إلى فضل الدعاء، والحث عليه، وأن الله وحده هو المجيب لمن دعاه. قال

أبو حيان: "وهو من باب الالتفات" 2.

❖ وقال الزركشي: "فإن قيل: كيف جاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وعادة السؤال

يحيى جوابه في القرآن بقل نحو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ

تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>3</sup>.

❖ قيل: حُذِفَت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء مستغن عن الوساطة، وهو دليل على أنه

أشرف المقامات، فإن الله سبحانه لم يجعل بينه وبين الداعي واسطة، وفي غير حالة الدعاء تجيء

الوساطة"<sup>4</sup>.

❖ وفي ذلك تلويحاً للخطاب وتوجيهه إلى رسول الله مالا يخفى من تشريفه ورفع محله.

❖ ج- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

❖ والمراد به: أن يكون السياق جارياً على أسلوب التكلم، ثم ينتقل إلى أسلوب الغيبة، وهذا

الأسلوب هو أكثر أنواع الالتفات وجوداً في كتاب الله<sup>5</sup>.

❖ وفائدته التبيه على أن كل أمر حكيم يفارق بأمر الله هو رحمة من أثر صفة الربوبية الرب عزوجل<sup>6</sup>.

عزوجل<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 186.

<sup>2</sup> راشد بن حمود الثنيان، عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية، ص 633.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 189.

<sup>4</sup> إعداد مجموعة من العلماء، عادات القرآن، ص 633.

<sup>5</sup> ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 190.

<sup>6</sup> حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 297.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>1</sup>، فالالتفات في هذه الآية في انتقال الكلام من أسلوب التكلم في قوله: ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾ وفي قوله: ﴿عَبْدِنَا﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ فالآية بدأت بضمير المتكلم ليثبت مصدر هذا المنزل، ثم جاءت كلمة ﴿عَبْدِنَا﴾ لتبين صفة النبي ﷺ، وتؤكد عبوديته التامة لرب جل وعلا، ثم تلتفت الآية إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ لتزيد الأمر تعظيماً، وتوضح أن صاحب هذا الضمير السابق هو الله ذو الألوهية والعبودية على الخلق أجمعين<sup>2</sup>.

❖ وفي هذا الالتفات إدخال الروعة وتربية المهابة، والايذان بكمال سخافة عقولهم، حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مالا أحقر منه، وتأكيد عجزهم عن المعنى المتلفت إليه.

❖ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>3</sup> أَوْلَيْكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>3</sup>. فقوله: من ربهم جاءت بضمير الغيبة عنه بعد أن كان الضمير في الآية السابقة عليه التكلم عن الله عز و جل في قوله تعالى رزقناهم.

❖ وفي هذه الآيات مقام الهداية، وهي أهم مقاصد التربية ووجود كلمة "رب" وإضافتها إلى ضمير الغائبين فيه ما فيه من الدقة و الوضوح فهداية هؤلاء المتقين منحة من متفرد بالربوبية جزاء لهم على تقواهم<sup>4</sup>.

❖ وقوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قال: الصلوات الخمس: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ قال: زكاة أموالهم وقيل: أن إقامة الصلاة المحافظة على مواعيتها و وضوئها و ركوعها وسجودها ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: يصدقوك بما جئت به من الله وما جاء به

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 23.

<sup>2</sup> ينظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ص 65، 66.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 3-5.

<sup>4</sup> خديجة محمد أحمد البناي، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، ص 201.

من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤوهم به من ربهم ﴿و بالآخرة هم يوقنون﴾ إيمانا بالبعث، والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان. ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ أي: على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم ﴿المفلحون﴾ أي: المنجون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم، إيمانهم بالله، وكتبه، ورسله" 1.

❖ قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ 2، ورد الالتفات في قوله تعالى: ﴿نَسَخْ﴾ و ﴿نُنسِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ من ضمير المتكلم الى صيغة الغيبة.

❖ يفسر الصابوني قوله تعالى: "﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ أي: نبدل من حكم آية فنغيره بآخر أو ننسها يا محمد أي نمنحها من قبلك. ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ أي: نأت بخير لكم منها أيها المؤمنون بما هو أنفع لكم في العاجل أو الآجل، إما يرفع المشقة عنكم ، أو بزيادة الأجر و الثواب لكم. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: أن الله عليم حكيم قدير، لا يصدر منه إلا كل خير و إحسان لعباد" 3.

❖ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

❖ والمراد به: كون السياق جارياً على أسلوب الخطاب، ثم ينتقل إلى أسلوب الغيبة، وهو كثير في كتاب الله وقد ورد في سورة البقرة في عدة مواضع:

❖ قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى كُلُّوْا مِّنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِن كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾ 4، حيث انتقل من صيغة الخطاب في قوله " عليكم " "رزقناكم" إلى صيغة الغيبة في قوله " ظلمونا، أنفسهم، يظلمون".

❖ ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ وكان هذا الغمام في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس، واطعمهم المن والسلوى حين برزوا إلى البرية، ففكان المن يسقط عليهم في محلثهم سقوط الثلج أشد بياضا من

<sup>1</sup> ينظر: الشوكاني فتح القدير، ص(17-25).

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 106.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 86.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 57.

اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس، فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك<sup>1</sup>.

❖ الأسلوب في هذه الجملة إذا انتقل من خطاب بني إسرائيل على الحديث عنهم بضمير الغيبة لقصد الاتعاظ بحالهم و تعريضا بأنهم متمادون على غيرهم و ليسوا مستفيقين من ضلالهم فهم بحيث لا يقرون بأنهم ظلموا أنفسهم<sup>2</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>3</sup>، حيث انتقل من صيغة الخطاب في قوله "منكم" إلى صيغة الغائب في قوله "أعمالهم"، هم.

❖ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي: ومن يستجب لهم منكم فيرجع عن دينه ويرتد عن الإسلام ثم يموت على الكفر فقد بطل عمله الصالح في الدارين و ذهب ثوابه<sup>4</sup>.

❖ "فهنا اعتراض، والمقصد منه التحذير، لأنه لما ذكر حرص المشركين على رد المسلمين عن الإسلام وعقبه باستبعاد أن يصدر ذلك من المسلمين، أعقبه بالتحذير منه، وجيء بصيغة مطاوعة إشارة إلى أن رجوعهم عن الإسلام قدر حصوله لا يكون إلا محاولة من المشركين فإن من ذاق حلاوة الإيمان لا يسهل عليه رجوعه عنه ومن عرف الحق لا يرجع عنه إلا بالعناء، ولم يلاحظ المفعول الثاني هنا؛ إذ لا اعتبار بالدين المرجوع اليه و إنما نيظ الحكم بالارتداد عن الإسلام إلى أي دين ومن يومئذ صار اسم الردة لقباً شرعياً على الخروج من دين الإسلام وإن لم يكن في هذا الخروج رجوع إلى دين كان عليه هذا الخارج<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 60.

<sup>2</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 512.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 217.

<sup>4</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 138.

<sup>5</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2، ص 334.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>1</sup>.

❖ يمتن تعالى على بني إسرائيل في هذه الآية أن أرسل لهم كلمته موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسول الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم عليه السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، جاءت الآية بخطاب بني إسرائيل بقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي: فقدمتم الهوى على الهدى وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التويخ والتشديد ما لا يخفى، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، أي: عليها غلاف واغطية، فلا تفقه ما تقول<sup>2</sup>.

❖ ففي قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وإبعاد لهم عن مقام الحضور فهو من التفات الذي نكته أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفضاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه، فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد.

❖ وقد حسن الالتفات لأنه مؤذن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدعوة المحمدية وهو غرض جديد، فإنه لما تحدث عنهم بما هو من شؤونهم من أنبيائهم وجه الخطاب إليهم، ولما أريد الحديث عنهم في إعراضهم عن النبي ﷺ صار الخطاب جارياً مع المؤمنين، وأجرى على اليهود ضمير الغيبة<sup>3</sup>.

❖ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

❖ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>4</sup>.

وردت الآية بأسلوب نداء مباشر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وذلك بعد العديد من الآيات

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 87، 88.

<sup>2</sup> راشد بن حمود الثنيان، عادات القرآن، ص 652.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عاشور، تحرير وتنوير، ج 1، ص 599.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 21.

السابقة عليها التي جاءت كلها بضمير الغائب من مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ وكذا ما بعدها من الآيات 1.

❖ "والسر العظيم في هذا التحول ذلك ليكون هذا النداء عام للناس أجمعين في كل زماناً ومكان وقد أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات، هزأً للسامع، وتنشيطاً له وإهتماماً بأمر العبادة وتفخيم لشأنها، وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادي الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقلبوا قلوبهم عليها أكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالأكد الأبلغ" 2.

❖ وفي هذا إشارة إلى أن الناس أمام الله سواء، فهم مخلوقون من نفس واحدة، وإنما يأتي التفاضل بينهم بالتقوى.

❖ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ 3 هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم 3، في الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة تفرعهم والتعجب من أحوالهم الغريبة وتوبيخهم، فخطبهم لأنهم معهم ما يدعو إلى الإيمان ومع ذلك فهم منصرفون إلى الكفر.

❖ وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ استفهام للتوبيخ والانكار والمعنى كيف تجحدون الخالق، وتكفرون الصانع ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أي: وقد كنتم في العدم نطفاً في أصلاب الآباء و أرحام الأمهات ﴿فأحياكم﴾ لأي اخرجكم إلى الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء الآجال ﴿ثم يحييكم﴾ بالبعث من القبور ﴿ثم إليه ترجعون﴾ للحساب والجزاء يوم النشور 4.

❖ وهذه الأفعال وإن كان بعضها ماضياً وبعضها مستقبلاً لا يتسنى مقارنة شيء منها لما هو حال من الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بما كأنه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عاملون بهذه

<sup>1</sup> أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزنجشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيخه، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009، ص30.

<sup>2</sup> ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الجليل، (د ط)، (د ت)، ج1، ص16.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 28، 29.

<sup>4</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص45.

الأحوال المانعة منه ومآله التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه و إنما نظم ما ينكرونه من الأحياء الأخير و الرجوع في سلك ما يعترفون به من الأحياء الأول والإماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم<sup>1</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>2</sup>، فقد انتقل من صيغة الغيبة في قوله " استسقى، لقومه " إلى الخطاب في قوله " اضرب، بعصاك."

❖ فقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ أي: ذكروا يا بني إسرائيل حين طلب موسى السقيا لقومه وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ أي: ضرب حجر كان يتفجر بقدرتنا العيون منه فتدفق الماء منه بقوة وخرجت منه اثنتا عشرة عينا بقدر قبائلهم وعلمت كل قبيلة مكان شربها لئلا يتنازعا<sup>3</sup>.

❖ "تذكير بنعمة أخرى جمعت ثلاث نعم وهي الري من العطش، وتلك نعمة كبرى أشد من نعمة إعطاء الطعام ولذلك شاع التمثيل بري الظمان في حصول المطلوب. وكون السقي في مظنة عدم تحصيله وتلك معجزة لموسى وكرامة لامته لان في ذلك فضلا لهم<sup>4</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>5</sup>، قد ابتداء سبحانه قوله بأسلوب الغيبة ثم انتقل إلى الخطاب، وفي هذا يقول الزمخشري: " فإن قلت: ما الفرق بين الفاءات؟ قلت: الأولى للتسيب لا غير، لأن الظلم سبب التوبة، والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قيل أن الله جعل توبتهم قتل أنفسهم، ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى فتوبوا، فاتبعوا التوبة القتل تامة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف، ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم، فتتعلق بشرط محذوف، كأنه

<sup>1</sup> أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ص 77.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 60.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 62.

<sup>4</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ص 517.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 54.

قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، وإما أن يكون خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى، فتاب عليكم بارتكابكم 1.

❖ الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

❖ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>2</sup> يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>3</sup> 2، جاء التفات في قوله تعالى ﴿آتيناهم﴾ بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾<sup>4</sup> في لفظ جلالة الله.

❖ يفسرها ابن عاشور بقوله: "فأجيب بأن الذين أوتوا الكتاب وتلوه حق تلاوته هم الذين يؤمنون به. و يجوز أن يكون اعتراضاً في آخر الكلام لبيان حال المؤمنين الصادقين من أهل الكتاب لقصد إبطال اعتقادهم أنهم على تمسك بالإيمان بالكتاب. فقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ ذلك لما تقدم وجواب قاطع لمعذرتهم المتقدمة وهو من باب العجز" 3.

❖ قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>4</sup> 4، فلفظ "قلنا" وردت بأسلوب التكلم بعد أسلوب الغيبة في قوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه".

❖ "قيل: اهبطوا؛ خطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: الحية، والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد: هما وذريتهما؛ لأنهما لما كانا أصل الإنس ومنتشعبهم جعلاً كأنهما الأنس كلهم، والدليل عليه قوله: ﴿قال اهبطا منها جميعاً لبعضكم لبعض عدو﴾" 5.

❖ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾<sup>1</sup> 1، ووجه الالتفات هنا في قوله: قوله: "واتقون" بضمير المتكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: "يعلمه الله".

<sup>1</sup> الرمحشري، الكشاف، ص77.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 121، 122.

<sup>3</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص696.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 37.

<sup>5</sup> الرمحشري، تفسير الكشاف، ص72.

❖ ووردت في تفسير ابن عاشور: "ووصف الأشهر بمعلومات حوالة على ما هو معلوم للعرب من قبل، فهي موروثه عندهم عن شريعة إبراهيم، وهي من مبدأ شوال إلى نهاية أيام النحر، وبعضها بعض الأشهر الحرم، لأنهم حرّموا قبل يوم الحج شهرا وأياما وحرّموا بعده بقية ذي الحجة والحرام كله لتكون الأشهر الحرم مدة كافية لرجوع الحجيج إلى آفاقهم، و أما رجب فإنما حرّمته مضر لأنه شهر العمرة"2.

❖ قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾3، فكان أسلوب الالتفات في هذه الآيات في قوله تعالى (نتلوها) بصيغة التكلم التي وردت بعد صيغة الغيبة و كانت في السياق عند قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ وكذلك قصد الآيات التي قبلها.

❖ وقد فسرها ابي السعود: ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ أي هزموا جيش جالوت بنصر الله وتأييده إجابة لدعائهم، ﴿ وقتل داوود جالوت ﴾ أي وقتل داود - وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت يزوجه ابنته و يشاطر نعمته، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ أي: لولا أن يدفع الله شر الأشرار بجهد الأختيار لفسدت الحياة، ﴿ لكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ أي: ذو تفضل و انعام على البشر حيث لم يمكن للشر من الاستعلاء"4.

❖ وفي قول الزمخشري: "﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ يعني: القصص التي اقتصها من حديث الألواف وإماتتهم و إحيائهم و تمليك طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي. ﴿ بالحق ﴾ باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك، ﴿ و إنك لمن المرسلين ﴾ حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار"5.

1 سورة البقرة، الآية 198.

2 ابن عاشور، التحرير و التنوير، ج2، ص213.

3 سورة البقرة، الآية 251، 252.

4 ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص 120.

5 الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 143.

❖ والنص القرآني يكثر بظاهرة الالتفات، وهي ظاهرة تستحق المزيد من الدراسات التي ينبغي ان تنفرد لها، وتبين عن مواقع الحسن، وتكشف عن مواطن الجمال فيها.

❖ الأسلوب الحكيم

❖ الأسلوب الحكيم يقوم على مراعاة مقتضى الحال، بخروج الكلام عن مقتضى الظاهر ومثال ذلك في:

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>1</sup>، بحيث حمل استفهامهم على ظاهره تبيينها على أن اللائق بهم أن يسألوا عن حكمة ما أراد الله بتلك الأمثال، فيكون قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ جواباً لهم وردا عليهم وبيانا لحال المؤمنين.

❖ يقول تعالى في الرد على مزاعم اليهود والمنافقين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾ أي لا يستنكف ولا يمتنع عن أن يضرب أي مثل كان، بأي شيء كان، صغيراً كان أو كبيراً ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي سواء كان هذا المثل بالبعوضة أو بما دونها في الحقارة والصغر، فكما لا يستنكف عن خلقها، كذلك لا يستنكف عن ضرب المثل بها ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أما المؤمنون فيعلمون أن الله حق، لا يقول غير الحق، وأن هذا المثل من عند الله ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ ؟ وأما الذين كفروا فيتعجبون ويقولون: ماذا أراد الله من ضرب الأمثال بمثل هذه الأشياء الحقيرة ؟ قال تعالى في الرد عليهم ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ أي يضل بهذا المثل كثيرا من الكافرين لكفرهم به. ويهدي به كثيرا من المؤمنين لتصديقهم به ، فيزيد أولئك ضلالة، وهؤلاء هدى ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ أي ما يضل بهذا المثل أو بهذا القرآن إلا الخارجين عن طاعة الله، الجاحدين بآيته<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 26.

<sup>2</sup> صفوة التفاسير، الصابوني، ج1، ص 45.

❖ إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت، قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟. و هذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام بالفصحاء فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾<sup>1</sup>.

❖ ولهذا التمثيل فائدة ذكرها الزمخشري في قوله: التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد. فإن كان الممثل له عظيماً كان الممثل به مثله، وإن كان حقيراً كان الممثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمر تستدعيه حال الممثل له<sup>2</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup> فسؤال الملائكة هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك<sup>4</sup>، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء "أي: يريق الدماء بالبغي و الاعتداء"<sup>5</sup>، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك.

❖ فجاء جوابه **وَعَلَىٰ** بأنه يعلم ما لا يعلمون. أي لو علموا حقيقة رغبته في الخلق لما سألوا عن هذا الأمر، فالحكمة كانت بإجابتهم على الإجمال دون التفصيل، فالتفصيل قد يكون مفسدة لهم<sup>6</sup>.

❖ أي أنه سبحانه يعلم من المصلحة الراجحة وحكمة في خلق هذا الصنف أو الخليفة على المفسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون<sup>7</sup>.

❖ وقيل "خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب لا للمشورة، ولكن لاستخراج ما عندهم، وقيل خاطبهم بذلك لأجل أن يصدر منهم ذلك السؤال، فيجأون بذلك الجواب، وقيل لأجل تعليم عباده مشروعية المشاورة لهم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص40.

<sup>2</sup> الزمخشري، تفسير الكشاف، ص64.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 30.

<sup>4</sup> عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 104.

<sup>5</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص48.

<sup>6</sup> الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، (د ت)، ج 2، ص 181.

<sup>7</sup> ينظر: عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 104. و ينظر: للصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص 48.

❖ في هذه الآية يوحي قول الملائكة أنه كان لديهم من الشواهد الحال، أو من تجارب سابقة في الأرض، أو من إلهام البصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، ما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض وأنه سيسفك الدماء.<sup>2</sup>

❖ قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>3</sup>، مسوق لبيان حكمة النسخ والإتيان بالخير والمثل بياناً غير مفصل على طريقة الأسلوب الحكيم وذلك أنه بعد أن فرغ من التنبيه على أن النسخ الذي استعبده وتذرعو به لتكذيب الرسول هو غير مفارق لتعويض المنسوخ بخير منه أو مثله أو تعزيز المبقى بمثله أريد أن ينتقل من ذلك إلى كشف ما بقي من الشبهة وهي أن يقول المنكر وماهي الفائدة في النسخ حتى يحتاج التعويض؟ وكان مقتضى الظاهر أن يتصدى لبيان اختلاف المصالح ومناسبتها للأحوال والأعصار وليبيان تفاصيل الخيرية والمثلية في كل ناسخ ومنسوخ.<sup>4</sup>

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>5</sup>.

❖ سألوها عن السبب في اختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه، حيث قالوا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فأجيبوا ببيان الغرض من هذا الاختلاف، وهو أن الاهلة بحسب ذلك الاختلاف معالم يوقت بها الناس أمورهم من المزارع والمتاجر، ومحال الديون والصوم وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف بها وقته، وذلك للتنبيه على أن الأولى والأليق بحالهم أن يسألوا عن الغرض لا عن السبب؛ لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على ما هو من دقائق علم الهيئة، ولا يتعلق لهم به غرض.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 44.

<sup>2</sup> ، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 56.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 107

<sup>4</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 663

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 189

<sup>6</sup> سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية ، بيروت

❖ لذا جاء الجواب بغير ما يتطلبون وبخلاف سؤالهم وقصدهم، فنزل السؤال عن أحوال الهلال منزلة السؤال عن فائدتها ووظيفتها الحياتية فكانت الإجابة: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ "لأن مثل حالهم لا يعينهم من تغير منازل القمر إلا ما ينتفعون به، أما المعرفة العلمية فإن القوم ليسوا أهلاً لها وهم في هذه الدرجة من الأمية، ولا طاقة لهم بمعرفة دقائقها، والقرآن الكريم لم يفسر مظاهر الكون تفسيراً علمياً كاشفاً وإنما ترك هذه الجهود للبشر ومعاناتهم العلمية بعدما هداهم إلى التفكير وأوجب عليهم النظر في ملكوت الله" 1.

❖ قال بهاء الدين البغدادي: "أعلم الله وعَجَلِكْ أنه جعل ذلك ليعلم الناس أوقاتهم فيما فرض عليهم من حجهم وعدة نساءهم وجميع ما يريدون علمه مشاهرة، لأن هذا أسهل على الناس من حفظ عدد الأيام، يستوي فيه الحاسب وغيره" 2.

❖ وبعد كل هذا زادهم فائدة هم بحاجة إليها، وهذا ما يقتضيه أسلوب الحكيم - أيضاً - لأنها تتعلق بالمواقيت والحج والمقام مناسب لها، وهو أن حقيقة البر تقوى الله والخوف منه وليس الخوف واجتناب دخول البيوت من أبوابها بإتيانها من ظهورها أثناء الإحرام، قال حمزة العلوي: "نُقل في الحديث أن ناسا كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحدهم بيتا ولا خيمة ولا خباء من باب، بل إن كان من أهل المدر نقب نقبا من ظاهر البيت يدخل منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة أو الخباء، فقليل لهم: ليس البر تحرجكم من دخول البيت، ولكن البر من اتقى محارم الله" 3.

❖ قال القرطبي: "أفرد سبحانه الحج بالذكر لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت، وأنه لا يجوز النسيء فيه عن وقته، بخلاف ما رآته العرب فإنها كانت تحج بالعدد، وتبدل الشهور، فأبطل الله قولهم وفعلهم" 4.

<sup>1</sup> محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص 271.

<sup>2</sup> محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط 1، 1417هـ،

ج 7، ص 353

<sup>3</sup> يحيى بن حمزة العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط 1،

1423 هـ.

<sup>4</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 229.

❖ فهذه الإجابة تؤدي إلى فضول السائل والقارئ بصفة عامة، وتيقنه أن لهذه الأهله فائدة عظمي وأن امرها دقيق لا يدرك إلا بالتفكر، والبحث المعمق.

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>1</sup>، السائلون هنا: هم المؤمنون سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا ببيان المصارف<sup>2</sup>، حيث أمر الله رسوله أن يجيبهم عن الذين ينبغي أن توجه لهم النفقة، إشارة إلى أنه كان ينبغي لهم أن يسألوا عمن ينبغي أن توجه لهم النفقة، أما الشيء الذي ينفقون منه ومقدار ما ينفقون فيعم كل ما يصلح للإنفاق منه، وما وراء حد الزكاة المفروضة هو من التطوع المفتوح الذي لا يسأل عن حد له<sup>3</sup>.

❖ لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها، وكل ما فيه خير فهو صالح للإنفاق فذكر هذا على سبيل التضمن دون القصد<sup>4</sup>، وبهذا العدول في الجواب تنبيه للسائل على (أنه ليس المهم في الإنفاق هو ما ينفق، وإنما المهم أن يصرف في جهات شرعية، وأن يقع موقعه من البر والنفق)<sup>5</sup>. فالمقام هنا مقام ترغيب بالإنفاق وحث عليه، والانفاق لا يكون إلا من مؤمنين.

❖ وقد تقدم الكلام في الأقربين، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل<sup>6</sup>، وعليه ينزل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له بالطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل عنه أو أهم له إذا تأمل.

❖ فالله وَعَلَى لم يحدد لهم ما يجب إنفاقه، وترك لهم التصرف في ذلك مراعاة لنفسياتهم ومكائنتهم، فبعض المسلمين متحمسون للإنفاق، ولا تسمح لهم حالاتهم المادية بمنح الكثير، ثم تعزّ الأموال عند بعض الأغنياء، فلا يستطيعون إنفاقها بسهولة، ومنه كان سياق الآية مرضيا لجميع الناس.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 215.

<sup>2</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 139.

<sup>3</sup> ينظر: حبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 502.

<sup>4</sup> التفتازاني، المطول، ص 295، 296.

<sup>5</sup> ينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص 271.

<sup>6</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 139.

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا يُمِثُّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>1</sup>، الأسلوب الحكيم في هذه الآية في لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾.

❖ أما المعنى: يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على أن قوله عزوجل ﴿قتال فيه﴾ يدل اشتمال من الشهر وتنكيهه لما أن سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام<sup>2</sup>، أيحل لهم القتال فيه؟ فأجب الله تعالى ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ بمعنى قل لهم يا محمد القتال فيه أمره كبير ووزره عظيم ولكن هناك ما هو أعظم وخطر. "والشهر الحرام المراد به الجنس، وقد كانت العرب لا تسفك فيه دماء ولا تغير على عدو، والأشهر الحرم هي ذي القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، وهذه الأمور أعظم ذنباً وأشد إثمًا من القتال في الشهر الحرام كذا قال المبرد وغيره، قيل أنها محكمة وإنه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام إلا بطريق الدفع، وقيل منسوخة بقوله تعالى ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وبقوله ﴿قاتلوا المشركين كافة﴾ وبه قال الجمهور<sup>3</sup>.

❖ ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام، وهم رسول الله والمؤمنين ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ، والبناء على الظن، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الإخراج أو الشرك. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين، وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم. وحتى معناها: التعليل، كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة، أي: يقاتلونكم كي يردوكم ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ﴾ ومن يرجع عن دينه إلى

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 217.

<sup>2</sup> أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ص 217.

<sup>3</sup> أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن

دينهم ويطاوعهم على رده إليه. على الردة. لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام، وباستدامتها والموت عليها من ثواب الأخرة. وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها<sup>1</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>2</sup>، السائلون هم المؤمنون يريدون معرفة تحريم الخمر، فكان جوابه سبحانه بذكر منافع وأضرار الخمر وأن إثمها أكبر من نفعهما.

❖ وقيل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أي يسألونك يا محمد عن حكم القمار والخمر ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: قل لهم إن في تعاطي الخمر والميسر ضرراً عظيماً وإثماً ومنافع مادية ضئيلة. فإن ضياع العقل وذهاب المال وتعريض البدن للمرض في الخمر وما يجره القمار من خراب البيوت ودمار الأسر وحدوث العداوة والبغضاء بين اللاعبين، كل ذلك محسوس مُشاهدٌ وإذا قيس الضرر الفادح بالنفع التافه ظهر خطر المنكر الخبيث<sup>3</sup>.

❖ إن سؤال المؤمنين وصحابة الرسول ﷺ عن الخمر عن ظاهر يحتمل أنهم سألوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل أنهم ليس عن حل شربه وحرمة، وإن كان كذلك فإنّ الجواب بذكر الحرمة دلّ أنّ ذلك السؤال كان واقعا عن الحلّ والحرمة<sup>4</sup>.

❖ أما عن أسلوب الحكيم فنلمسه في إجابته ﷺ بما يناسب مقام السائلين، وعدم نصّه التحريم الكلي.

❖ ومما يدل على أن السائلين لم ينتظروا هذه الإجابة، قول عمر بن الخطاب بعد نزول هذه الآية: "اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً" واستمرّ هذا الدعاء حتى نزلت آخر آية في التحريم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الرمحشري، تفسير الكشاف، ص127.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 219.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص141.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج6، ص40.

<sup>5</sup> بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص371.

❖ لقد نزلت هذه الآية لتنفير الناس وإبعادهم وتهيئتهم لتقبل تحريم الخمر بحث نزلت في الخمر آيات لإبعاد الناس عنه ثم تحريمه وعددها أربعة، "وذلك لحب العرب له، واقتزانه في أذهانهم بمفاهيم موقرة جداً عندهم كفكرة المروءة والسؤدد"<sup>1</sup>

❖ فالقرآن الكريم حوى جميع العلوم، ولكن اكتفى بإشارة إليها حتى يبقى للإنسان اكتشافها ليدرك عظمة هذا القرآن.

❖ قوله تعالى: ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>2</sup>. الأسلوب الحكيم في هذه الآية لفظ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ بغرض التعريض.

❖ "هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾<sup>3</sup> وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾<sup>4</sup>، وقد ضاق على الأولياء الأمر فنزلت هذه الآية<sup>5</sup>. حيث اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم، فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج، فقيل: ﴿إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم. ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم، ولم تجانبوهم ﴿ف﴾ هم ﴿إِخْوَانُكُمْ﴾ في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه، وقد حملت المخالطة على المصاهرة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد أو إصلاح، فيجزيه على حسب مداخلته، فحذروه، ولا تتحروا غير الإصلاح<sup>6</sup>. "وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: لو شاء لجعل ذلك شاقاً شاقاً عليكم، ومتعباً لكم، وأوقعكم فيما فيه الحرج، والمشقة، وقيل العنت هنا: معناه الهلاك"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص349.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 220.

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية 152، سورة الإسراء، الآية 34.

<sup>4</sup> سورة النساء، الآية 10.

<sup>5</sup> أبو الطيب، فتح البيان في مقاصد القرآن، ص443.

<sup>6</sup> الريحشري، تفسير الكشاف، ص128.

<sup>7</sup> الشوكاني، فتح القدير، 143.

وقاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: غالب يقدر على أن يعنت عباده ويخرجهم ولكنه ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقتهم<sup>1</sup>.

❖ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>2</sup>، الأسلوب الحكيم في هذه الآية لفظ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ وكان لغرض التعريض لإيصال المعنى للمخاطبين بطريق بليغ نظر لمراعاة الحال، "روى أن أهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤكلونهن كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك إلى أن سأل الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فنزلت ﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ أي: شيء يستقدر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض قيل أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن أترنهن هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بما هلكت الحيض فقال ﷺ إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم". وقيل أن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فأمر المسلمون بالاعتزال بين الأمرين<sup>3</sup>

❖ ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي لا تجامعون حتى ينقطع عنهم دم الحيض ويغتسلن، والمراد التنبيه على أن الغرض عدم المعاشرة لا عدم القرب منهن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فإذا تطهرن بالماء فاتوهن في المكان الذي أحله الله لكم، ألا وهو القُبُل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي يجب التائبين من الذنوب، المنتزهين عن الفواحش والأفذار<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرمحشري، تفسير الكشاف، ص128.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 222.

<sup>3</sup> أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ص222.

<sup>4</sup>، الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص142.

❖ إن في هذه الآيات أحكام وتشريعات أنزلها سبحانه لعباده ليتفقه فيها ويسيرو على حكمها ولتنظيم حياة الناس وإزالة معتقدات وأفعال كان يمارسها الناس في الجاهلية ونزلت على طريقة الأسلوب الحكيم لأغراض بلاغية مختلفة.

❖ "وفي هذا ما فيه من التربية الربانية التي تعلم الخلق ما يهمهم وتصرفهم عما لا شأن لهم به؛ ألم يقل المصطفى ﷺ: "أن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه"، ثم ألم يقل بارئ السموات والارض "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم"1.

❖ التغليب:

❖ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾2، في الآية الكريمة تغليب الموجود على ما لم يوجد كما إذا وجد بعض الشيء وبعضه مترقب الوجود فيجعل الجميع كأنه وجد وذلك في قوله: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ و قال فيه الزمخشري: فإن المراد المنزل كله، وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد3.

❖ يُثني الله تعالى على المؤمنين الذين أتبعوا رسوله وصدقوا بما أتاهم وبما أتى الرسول السابقون وباليوم الآخر وأن للكون رب واحد هو الله عزوجل، وهنا تكمن جمالية التغليب في الآية حيث صدق المؤمنون بالكتاب كله بالرغم من أنه لم ينزل إلا بعضه.

❖ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾4 وفي هذه الآية تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب، فإن الخطاب في لعلكم شامل للناس الذي توجه إليه الخطاب أولاً وللذين من قبلكم الذي ذكر بلفظ الغيبة؛ لأن "لعلكم" متعلقة بقوله "خلقكم" لا بقوله: "اعبدوا" حتى يختص بالناس المخاطبين، إذا لا معنى لقولنا: "اعبدوا لعلكم تتقون"5.

1 عيسى على العاكوب وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية، ص155.

2 سورة البقرة، الآية 4.

3 ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص818. / والتفتازاني، المطول، ص326.

4 سورة البقرة، الآية 21.

5 ينظر: التفتازاني، المطول على الحاشية، ص325. والزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص813، 814..

❖ يقول الزمخشري: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ خطاب لمشركي مكة، ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد، وأصله في قوله تعالى من أجل إيقاظهم لمعاناً، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليه، وهم عنه غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ<sup>1</sup>.

❖ "لا يخلو أمر العبادة أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين والكفار جميعاً، أو إلى كفار مكة خاصة. على ما روى ابن علقمة والحسن: فالمؤمنون عابدون رهم فكيف أمروا بما هم متلبسون به؟ وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه؟ قلت: المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وثباتهم عليها، وأما عبادة الكفار فمشروط فيها الاقرار"<sup>2</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>3</sup>، التغليب في هذه الآية تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به.

❖ وفي قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ غلب غير المرتابين على المرتابين، واعتراض بقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهذا خطاب للكفار قطعاً، فهم مخاطبون أولاً بذلك، ثم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لا يتميز فيها التغليب ثم هي شاهدة بأن المتكلم معهم يخص الجاحدين بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وإذا لم يكن الخطاب إلا فيهم فتغليب حال من لم يدخل في الخطاب لا عهد به في مخاطبات العرب "ثم أوضح لبعضها هنا لأن جواز أن يتناول المشكوك، وغير المرتابين عاملين فلا يستحق حالهم "إن"، ويحتمل أن يكون للتهييج زيادة في العجز<sup>4</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>5</sup>، "اختلف أهل العلم هل عرض على الملائكة المسميات أو الأسماء والظاهر الأول، لأن لأن عرض نفس الأسماء غير واضح وعرض الشيء إظهاره، ومنه عرض الشيء للبيع، وإنما ذكر ضمير المعروضين تغليياً للعقلاء على غيرهم"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص56.

<sup>2</sup> ينظر: نفس المرجع، ص56، 57.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 23.

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 817.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 31.

<sup>6</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص45.

❖ فالضمير في عرضهم لجمع المذكر تغليب للعقلاء على غير العقلاء والجمادات ولم يقل عرضها. ويرجع إلى المسميات مع عدم تقدم ذكرها؛ لأنه تقدّم ما يدل عليها، وهو: أسماؤها. قال ابن عطية: والذي يظهر أن الله علم آدم الأسماء، وعرضها عليه مع ذلك الأجناس أشخاصاً، ثم عرض تلك على الملائكة، وسألهم عن أسماء مسمياتها التي قد تعلمها آدم، فقال لهم آدم: هذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا. وأما أمره سبحانه للملائكة بقوله: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فهذا منه تعالى لقصد التبكيت لهم مع علمه بأنهم يعجزون عن ذلك. والمراد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ومعنى ﴿فَأَنْبِئُونِي﴾ أي: أخبروني. فلما قال لهم ذلك اعترفوا بالعجز<sup>1</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup>، عد إبليس من الملائكة لكونه جنياً واحداً بحكم تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغموراً فيما بينهم، بأن يطلق اسم ذلك الجنس على الجميع<sup>3</sup>. حيث أمرهم سبحانه بالسجود لأدام عليه السلام فسجد جميع الملائكة واطاعوا أمره إلا إبليس أبى ورفض السجود وخالف أمر الله ﷻ واستكبر لظنه أنه أحسن وأفضل من آدم عليه السلام حيث خلق من نار وهو من طين فحسر بذلك خسراً كبيراً وعده سبحانه بذلك من الكافرين.

❖ قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِّقُونَ﴾<sup>4</sup>، يوضح الشوكاني هنا هذه الصورة فيقول: "قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ إنما جاء به مفرداً ولم يقل كافرين حتى يطابق ما قبله، لأنه وصف لموصوف محذوف مفرد اللفظ متعدد المعنى نحو فريق أو فوج... فيكون هذا المفرد قائماً مقام الجمع<sup>5</sup>. فتغليب في الآية هو تغليب المفرد على الجمع. الجمع.

<sup>1</sup> ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص 45.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 34.

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 513. / وبسيوني، علم المعاني، ص 290. / والتفتازاني، المطول على الحاشية، ص 324.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 41.

<sup>5</sup> ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص 52.

❖ يقول الفراء: " فوحد الكافر وقبله جمع وذلك من كلام العرب فصيح جيد في الاسم إذا كان مشتقاً من فعل، مثل الفاعل والمفعول، ويراد به ولا تكونوا أول من يكفر فتحذف (من) ويقوم الفعل مقامها فيؤدي الفعل عن مثل ما أدت "من" عنه من التأنيث والجمع وهو في لفظ توحيد"1.

❖ فقد أمر الله سبحانه عباده بالإيمان بالقرآن وبعدم الكفر به، وذلك فيما "اخرج ابن جرير عن أبي العالية في الآية قال: يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت على محمد مصداقاً لما معكم؛ لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، والإنجيل"2، وألا يكونوا أول من يكفر بمحمد وألا يأخذوا أجر على كتابه.

❖ قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾3. "والمعروف أن السجود قد يكون شكراً على النعم، والاستغفار طلباً للعفو من الذنوب، فتقديم السجود على الاستغفار تغليب لجانب الشكر على جانب الاستغفار وهذا التغليب مبعثه أمران:

❖ الأول: أن الله قد حثهم-صراحة- على الشكر في معرض الحديث.

❖ الثاني: ان نعمة الله عليهم أظهر وأكمل"4

❖ فإن التعبير في قوله تعالى مفيد لحدوث النعمة المستوجب عليها الشكر. وكمال النعمة اقتضى تقديم الأمر بالسجود، لان السجود مظهر عظيم من مظاهر شكر النعم وفي قوله سبحانه دعوة لهم وترغيب على الاستغفار بقولهم حطة وجزاء ذلك يكون غفراناً لذنوبهم وزيادة حسنات للمحسنين ويا له من حظ عظيم وفرصة لا تفوت حباهم الله بها إلا أنهم أبو ذلك واستهزؤا بقوله تعالى وقالو: حنطة.

❖ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾5. تغليب تغليب العاقل على غيره، قيل: أوقع "ما" لأنها تقع على أنواع من يعقل، لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل فغلب ما لا يعقل كان الأمر بالعكس ويناقضه، حيث جاء التغليب في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُ

<sup>1</sup> أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن للفراء، دار البشائر. دار الصديق، 2004م، ج1، ص32-33.

<sup>2</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص52.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 58.

<sup>4</sup> ينظر: عبد العظيم ابراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992، ج2، ص151.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 116.

قَاتِنُونَ ﴿ صيغة جمع العقلاء في ﴿قَاتِنُونَ﴾ للتغليب أي تغليب العقلاء على غير العقلاء فالتغليب من الفنون المعدودة في محاسن البيان، واستخدامه في هذا الموضع زاد المعنى حسناً وجمالاً وبلاغة 1.

❖ وقال الزمخشري: جاء بما "تحقيراً لشأنهم وتصغيراً قال: ﴿لَهُ قَاتِنُونَ﴾ تعظيم 2.

❖ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هو قول اليهود والنصارى والمشركين فاليهود قالوا: عزيز ابن الله والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله فأكذب الله الجميع في دعواهم فقال ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تقدس وتنزه عما زعموا تنزيهاً بليغاً ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بل للإضراب أي ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزيز والمسيح والملائكة ﴿كُلُّ لَهُ قَاتِنُونَ﴾ أي الكل منقادون له لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيتته 3.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ 4، حيث جعل القصاص كالمنبع والأصل للحياة... والتغليب في الآية الكريمة تغليب العقلاء المخاطبين على الأنعام الغائبة وكان مقتضى الظاهر أن يقول: يذروكم ويذروها فيه 5.

❖ وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ لأن مسوق لإظهار الاقتدار مع الوحدانية، فأسقط السببية وأثبت في الظرفية وهذا وجه من إعجاز قوله لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا غيره فاختيرت "في" على "الباء" لأنه مسوق لبيان الترغيب، والمعنى مفهوم والقصاص مسوق للتجويز وحسن المشروعية 6.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوَ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ 7 إذ يقول: "إن معنى الآية: إذا سلمتم ما آتيتم من

<sup>1</sup> ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 92.

<sup>2</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 815.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 90، 91.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 179.

<sup>5</sup> بسببوني، علم المعاني، ج 1، ص 191.

<sup>6</sup> ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص 816.

<sup>7</sup> سورة البقرة، الآية 233.

إرادة الاسترضاع، أي: سلم كل واحد من الأبوين ورضي، وكان ذلك عن اتفاق منهما، وقصد خير وإرادة معروف من الأمر، وعلى هذا فيكون قوله: (سلمتم) عاماً للرجال والنساء تغليياً<sup>1</sup>، فغلب الرجال على النساء لقيومة الرجل على المرأة وسيادته في البيت.

❖ قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>2</sup>، "أفراد الضمير في قوله: آمن بالله مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن المراد ببيان إيمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع"<sup>3</sup>، فجاء التغليب في هذه الآية وضع المفرد موضع الجمع.

❖ قوله ﴿آمَنَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ إن عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في وقوله: ﴿كُلٌّ﴾ راجعاً إلى الرسول والمؤمنين، أي: كلهم آمن وصدقوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله من المذكورين ووقف عليه، وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين، ووجد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن، وكان يجوز أن يجمع، وقيل سبب نزولها الآية التي قبلها، وقوله: ﴿وَمَلَأَتْهُ﴾ أي: من حيث كونهم عباده المكرمين المتوسطين بينه، وبين أنبيائه في إنزال كتابه، وقوله: ﴿كُتِبَ﴾ لأنها المشتملة على الشرائع التي تعبد بها عباده. وقوله: ﴿وَرُسُلِهِ﴾ لأنهم المبلغون لعباده ما نزل إليهم.

❖ فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء، فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع<sup>4</sup>.

❖ وكقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>5</sup>، يقول الشوكاني: "وإنما أخبر عن قوله: ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بقوله: ﴿عَدُوٌّ﴾ مع كونه مفرداً؛ لأن لفظ بعض، وإن كان معناه محتملاً للتعدد،

<sup>1</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص158.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 285.

<sup>3</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص197.

<sup>4</sup> ينظر: الرخشري، تفسير الكشاف، ص158. والشوكاني، فتح القدير، ص197.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 36.

فهو مفرد فروعى جانب اللفظ وأخبر عنه بالمفرد، وقد يراعى المعنى فيخبر عنه بالمتعدد. وقد يجاب بأن ﴿عَدُوًّا﴾ وإن كان مفرداً فقد يقع موقع المتعدد كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾<sup>1</sup>.

❖ وفي هذه الآية كذلك تغليب وضع الجمع موضع المثنى، إذ يقول سبحانه: "اهبطوا" خطاب لآدم وحواء، وخوطبا بما يخاطب به الجمع وهو "اهبطوا" موضع المثنى، فكان مقتضى الظاهر أن يقال: "وقلنا اهبطا" ولكنه عدل إلى الجمع فقال "اهبطوا" لأن العرب قد أتت بلفظ الجمع وهي تريد التثنية<sup>2</sup>.

❖ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

❖ وفائدة هذا الأسلوب استحضار الصورة الماضية في الذهن وقد ورد في سورة البقرة في عدة مواضع هي:

❖ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>3</sup>، تكمن ظاهرة العدول في هذه الآية الكريمة في اتحاد الفعلين (يَقُولُ) و (آمَنَّا)، حيث تحولت صيغة الفعل من المضارع إلى الماضي لإفادة تحقق صفة الإيمان في الماضي لدى المنافقين، وللإشارة إلى أن صفة الإيمان لم تدم عندهم لعلم الله عَزَّ وَجَلَّ بما يجول في أنفسهم.

❖ تتحدث الآية الكريمة عن المنافقين الذين يظهرون إيمانهم ويسرون كفرهم، يظنون أنهم يخادعون الله عَزَّ وَجَلَّ. اتحد الفعل المضارع مع الماضي في هذه الآية الكريمة في (يَقُولُ آمَنَّا) للدلالة على تأكيدهم على تحقق إيمانهم في الماضي، ونيتهم في عدم استمرارهم "كان الإتيان بالماضي أشمل حالاً لاقتضائه تحقق الإيمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام؛ لأن الأصل ألا يتغير الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو، ولما أريد نفي الإيمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بل الاستقبال<sup>4</sup>".

<sup>1</sup> سورة الكهف، الآية 50.

<sup>2</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 47.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 8.

<sup>4</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 265.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>1</sup>، تتجلى ظاهرة العدول في هذه الآية الكريمة في تحول صيغة الأفعال من الماضي في ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ إلى المضارع في كل من (يسومونكم، يُدَبِّحُونَ، يستحيون)؛ لاستحضار تلك الصورة الشنيعة و الفظيعة في نفوس المؤمنين.

❖ "لما قدم تعالى ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالاً، بيّن بعد ذلك أقسام تلك النعم على سبيل التفصيل، ليكون أبلغ في التذكير وأدعى إلى الشكر فكأنه قال: أذكروا نعمتي، وأذكروا إذ نجينكم من آل فرعون وأذكروا إذ فرقنا بكم البحر... إلى آخره وكل هذه النعم تستدعي شكر المنعم جل وعلا لا كفرانه وعصيانه"<sup>2</sup>.

❖ نجى الله ﷻ بني إسرائيل من قوم فرعون الذين أذقوهم سوء العذاب، فذبحوا ذكورهم، و أبقوا على نسائهم جوارى لخدمتهم؛ وذلك أن الكهنة قد تنبؤا بأن هلاك فرعون سيكون على يد أحد المواليد الجدد من بني إسرائيل.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾<sup>3</sup>. ففي هذا السياق حصل تحول عن الفعل الماضي "كذبتهم" إلى الفعل المضارع "تقتلون" وكان مقتضى السياق بموجب المطابقة الزمنية بين الأفعال أن يكون على النحو "فريقاً كذبتهم وفريقاً قتلتم" لا سيما أنه يتحدث عن أمر حدث في الزمن الماضي، من تكذيب اليهود للأنبياء وقتلهم إياهم، لكن السياق تحول عن الماضي إلى المضارع؛ لأن قتل الأنبياء أمر فظيع، فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب.

❖ "وجمالية الآية التعبير بالمضارع (المستقبل) في قوله: ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ولم يقل قتلتم كما قال كذبتهم لأن الفعل المضارع كما -هو المؤلف في أساليب البلاغة- يستعمل في الأفعال الماضية التي بلغت من الفظاعة مبلغاً عظيماً، فعبر بالفعل المضارع "تقتلون" مع أن القتل وقع من اليهود في الزمن الماضي

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 49.

<sup>2</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 56.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 87.

فالسّر البلاغي في ذلك هو استحضر صورة قتل الأنبياء البشعة التي مارسها اليهود مع أنبيائهم؛ أمام السامع، وجعله ينظر إليها بعينه، لتثبتها في القلوب وتغيير النفوس منها وكأنها صفة ملازمة لهم غير منفكة عنهم فيكون إنكاره لها أبلغ، واستفطاعه لها أعظم" 1.

❖ وقد أشار إليها الإمام الزمخشري بقوله: إلى أن هناك سببين لمحيء الفعل (تقتلون) في المضارع؛ الأول هو استحضر تلك الأفعال الشنيعة لبني إسرائيل، أما السبب الثاني هو أن الله عزّ وجل كان على علم بما يجول في نفوسهم، وما يدبرونه؛ ألا وهو قتل حبيبنا محمد ﷺ كما فعلوا مع الرسل التي سبقتهم " تُراد الحال الماضية لأن الأمر فطيع فأريد استحضره في النفوس وتصويره في القلوب. وأن يراد وفريقا تقتلونها بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرقوه وسمتم له الشاة" 2.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ 3، يكمن وجه العدول في هذه الآية الكريمة في محيى الفعلين (نؤمن، يكفرون) في المضارع بدل الماضي بالرغم من أن الحادثة قد وقعت منذ قرون لما فيه من فائدة بلاغية؛ ألا وهي الاستمرار بإيمانهم بالتوراة و تكذيبهم وكفرهم بكل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ.

❖ قال ابن عاشور: "وقولهم (نؤمن) بما أنزل علينا أرادوا به الاعتذار وتعلة أنفسهم؛ لأنهم لما قيل لهم آمنوا بما أنزل الله علموا أنهم إن امتنعوا امتناعا مجردا عدت عليهم شناعة الامتناع من الإيمان بما يدعى أنه أنزله الله، فقالوا في معذرتهم وإرضاء أنفسهم نؤمن بما أنزل علينا؛ أي أن فضيلة الانتساب للإيمان بما أنزل الله قد حصلت لهم؛ أي فنحن نكتفي بما أنزل علينا وزادوا إذ تمسكوا بذلك ولم يرفضوه. وهذا وجه التعبير في الحكاية عنهم بلفظ المضارع نؤمن أي ندوم على الإيمان بما أنزل علينا وقد عرضوا بأنهم لا يؤمنون بغيره لأن التعبير بنؤمن بما أنزل علينا في جواب من قال لهم آمنوا بما أنزل

<sup>1</sup> ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص77. / و ابن عاشور، تحرير وتوير، ج1، ص598. / ومحمد علوان ونعمان علوان، دراسات في البلاغة العربية من القرآن " المعاني. البيان. البديع"، ط5، 2011م، ص95.

<sup>2</sup> الزمخشري، تفسير الكشاف، ص85.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 91.

الله، وقد علم أن مراد القائل بالإيمان بالقرآن مشعر بأنهم يؤمنون بما أنزل عليهم فقط، لأنهم يرون الإيمان بغيره مقتضيا الكفر به [...] وقوله تعالى "ويكفرون" بما وراءه، جيء بالمضارع محاكاة لقولهم نؤمن بما أنزل علينا وتصريحا بما لوحوا إليه وردا عليهم؛ أي يدومون على الإيمان بما أنزل عليهم ويكفرون كذلك بما وراءه فهم يرون أن الإيمان به مقتض للکفر بغيره على أن للمضارع تأثيرا في معنى التعجب والغرابة"1.

❖ قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾2، فعبّر بالمضارع (تتلو) لدلالته على الماضي لأن تلك الأحداث وقعت في عهد سليمان عليه السلام، "بدلاً من الماضي "تلت"؛ لاستحضار تلك الصورة العجيبة والبشعة في الأذهان، فتنفر منها النفوس وتشمئز منها القلوب لما لها من عواقب خطيرة على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة"3.

❖ "وقوله (تتلو) جاء بصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية على ما قاله الجماعة، أو هو مضارع على بابه على ما اخترناه من أن الشياطين هم أحبارهم فإنهم لم يزالوا يتلون ذلك فيكون المعنى أنهم اتبعوا؛ أي اعتقدوا ما تلته الشياطين ولم تنزل تتلوه"4. إن الغاية من تصوير تلك الأحداث، و استحضارها في نفوس قارئ، أو مستمعي هذه الآية الكريمة هو الاتعاظ و الاعتبار من أفعال الأمم السابقة.

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾5، يقول الشوكاني: "قوله: (إذ يرفع) هو حكاية لحال ماضية استحضاراً لصورتها العجيبة"6.

❖ تشير دلالة الفعل (يرفع) إلى الماضي بالرغم من مجيء الفعل في المضارع. إن الغاية من هذا العدول هو استحضار الحال الماضية في ذاكرة مستمع أو قارئ هذه الآية الكريمة، حتى يتسنى لنا

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص606.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 102.

<sup>3</sup> يتظر: محمد علوان ونعمان علوان، دراسات في البلاغة العربية، ص96. ويسبوني، علم المعاني، ص294.

<sup>4</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص629.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 127.

<sup>6</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص93.

معايشة تلك المعجزة؛ ألا وهي رفع سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل لأسس الكعبة، قال ابن عاشور: "وُخِولِفَ الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي؛ بأن يقول واذ رفع إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة. وحكايتها كأنها مشاهدة لأن المضارع دال على زمن الحال فاستعماله هنا استعارة تبعية، شبه الماضي بالحال لشهرته وتكرار الحديث عنه بينهم، فإنهم لحبهم إبراهيم وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة فشبهه الماضي لذلك بالحال [...] وكلمة إذ قرينة على هذا التنزيل؛ لأن غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي، وهذا معنى قول النحاة أن إذ تلخص المضارع إلى الماضي<sup>1</sup>.

❖ تتميز الآية بمخاطبة إبراهيم ربه بخشوع وخضوع، وفيها توسل وتضرع من خلال الدعاء. وبدأ الخطاب بالمضارع رغم أن هذه الحادثة قديمة جداً، والسبب هو استحضارها وكأنها تحدث الآن لذلك جاء الخطاب بصيغة المضارع.

❖ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>2</sup>. 2. فجعل المستقبل موضع الماضي في قوله: "سيقول" بمعنى "قال" دلالة على استدامة ذلك وأن السفهاء مستمرين على ذلك القول<sup>3</sup>.

❖ وجاء في تفسير الكشاف: السفهاء هم اليهود لكراحتهم التوجه الى الكعبة، وأنهم لا يرون النسخ وقيل: المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء. وقيل: المشركون قالو: رغب عن قبلة آباءه، ثم رجع اليها، والله لا يرجعن الى دينهم. فإن قلت: اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذ وقع لما يتقدمه من توطين النفس، أن الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وأراد لشغبه، وقبل الرمي يراش السهم<sup>4</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>5</sup>، عدلت صيغة الفعل من الماضي (زين) إلى المضارع

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص717-718.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 142.

<sup>3</sup> ينظر: محمد علوان ونعمان علوان، دراسات في البلاغة العربية، ص 96. والشوكاني، فتح القدير، ص98.

<sup>4</sup> الريحشري، تفسير الكشاف، ص:100.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 212.

(يسخرون)؛ فالماضي هنا يدل على أن الأمر محقق و مفروغ منه<sup>1</sup>، "ألا وهو تزوين الشيطان لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم، فلا يريدون غيرها"<sup>2</sup>.

❖ أما مجيء الفعل ( يسخرون ) في المضارع فهو للدلالة على الاستمرار والتجدد؛ "أي: استمرار الكفار أو رؤساء قريش والمنافقين في السخرية من ضعفاء المؤمنين لكونهم فقراء وفضلوا الآخرة على الدنيا، فاحتقروهم واستهزؤوا من نزاهتهم و خُلِقهم الحميد. أما التجدد فيكمن في أن هذا الوضع سيتكرر في كل وقت وحين"<sup>3</sup>.

❖ "وجيء في فعل التزوين بصيغة الماضي وفي فعل السخرية بصيغة المضارع قضاء لحقي الدلالة على أن معنيي فعل التزوين أمر مستقر فيهم؛ لأن الماضي يدل على التحقق، وأن معنى يسخرون متكرر متجدد منهم؛ لأن المضارع يفيد التجدد، ويعلم السامع أن ما هو محقق بين الفعلين هو أيضا مستمر؛ لأن الشيء الراسخ في النفس لا تفتقر عن تكريره، ويعلم أن ما كان مستمرا هو أيضا محقق؛ لأن الفعل لا يستمر إلا وقد تمكن من نفس فاعله وسكنت إليه، فيكون المعنى في الآية: (زين للذين كفروا وتزين الحياة الدنيا وسخروا ويسخرون من الذين آمنوا)، وعلى هذا فإنما اختير لفعل التزوين خصوص الماضي، ولفعل السخرية خصوص المضارعة إشارا لكل من الصفتين بالفعل التي هي به أجدر؛ لأن التزوين لما كان هو الأسبق في الوجود وهو منشأ السخرية أوتر بما يدل على التحقق، ليدل على ملكة واعتمد في دلالاته على الاستمرار بالاستتباع، والسخرية لما كانت مترتبة على التزوين وكان تكررها يزيد في الدم، إذ لا يليق بذئ المروءة السخرية بغيره، أوترت بما يدل على الاستمرار واعتمد في دلالاتها على التحقق دلالة الالتزام، لأن الشيء المستمر لا يكون إلا متحققا<sup>4</sup>.

❖ والفائدة في المستقبل إذا أخبر به الماضي لتبين هيئة الفعل باستحضار صورته، ليكون السامع كأنه شاهد<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص79.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص125.

<sup>3</sup> ينظر: الشوكاني، فتح القدير، 137.

<sup>4</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص269-297.

<sup>5</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 834.

❖ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:

❖ فائدته أنه أبلغ وأعظم موقعا لتنزيهه منزلة الواقع.

❖ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>1</sup>.

مدح الله ﷻ في آيته الكريمة المؤمنين الذين آمنوا بما أنزل على سيدنا ﷺ؛ أي القرآن، وكل ما جاء به من قبله المرسلين، ويوم البعث، والحساب، والجنة، والنار...

❖ جاء الفعل (أُنزِلَ) في الماضي بدل المضارع بالرغم من أنه في وقت نزول هذه الآية الكريمة لم تنزل

كل آيات وسور القرآن الكريم بل جزءا منها فقط، ولكن عدل عن صيغته الحقيقية لأن الماضي في هذه الآية الكريمة أبلغ وأحسن موقعا، وذلك للدلالة على تحقق الوقوع؛ أي أنهم كما آمنوا بما أنزل

من قبل فإنهم سيؤمنون بما سينزل من بعد "قوله ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، فلم يكن ذلك منزلاً وقت إيمانهم، فكيف قيل: (أُنزِلَ) بلفظ الماضي، وأن أريد به المقدار

الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم، فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على جميع سالفه ومتروقه واجب. قلتُ: المراد المنزل كله، وإنما عبر بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما

لم يوجد، أو تنبيهاً على تحقق الوقوع كأنه بمنزلة النازل قبل نزوله"<sup>2</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>3</sup>، جاء الفعل

(كَفَرُوا) في الماضي بدل المضارع بالرغم مما تُفيدة الجملة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ من احتراز أو تحذير؛ جاء هذا العدول لإفادة تحقق الوقوع؛ إذ يشير الله عزوجل إلى أن كفرهم واقع لا محالة سواء

أبلغتهم أم لم تبلغهم<sup>4</sup>.

❖ اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة؛ فمنهم من أشار إلى أنها تتحدث عن أحبار

اليهود والتي جاءت في كتبهم ولكن اختاروا أن يخفوها عن الناس، ومنهم من الذين علموا بنبوة

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 4.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص39.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 6.

<sup>4</sup> ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص41.

الرسول قال أنها تتحدث عن اليهود بصفة عامة، ومنهم من قال أنها نزلت على المنافقين من الأوس والخزرج.

❖ قال ابن العباس: نزلت هذه الآيات في منافقي أهل الكتاب منهم (عبد الله ابن أبي سلول ومعتب بن قشير، والجد بن قيس) كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق ويقولون: إن لنجد في كتابنا نعتة وصفته "1.

❖ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>2</sup> جاء الفعلين (آمَنُوا) و(عَمِلُوا) في الماضي بدل المضارع لتحقيق صفة الايمان و العمل الصالح و أنهما أمران لا يتجزآن "﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: وأما المؤمنون الذين جمعوا بين الإيمان، والعمل الصالح فلا تمسهم النار، بل هم في الجنات يخبرون ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: مخلدون في الجنان لا يخرجون منها أبداً"<sup>3</sup>.

❖ تتحدث الآية الكريمة عن هؤلاء الذين أطاعوا الله وصدقوا بما جاء به محمد ﷺ وعملوا صالح الأعمال، وانتهوا عن المعاصي، فجزاهم الله بالجنة خالدين فيها أبداً.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَعِنَّا لَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ الْوَعْدَ الْأُولَىٰ أَنْ لَا يَقُولُوا مِنَّا إِذْ نَبُذْنَا فِيهَا أَن لَّا بِاللَّهِ عِلْمٌ بَلَّغْنَاكَ الْآنَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ عَالِمِينَ﴾<sup>4</sup>، تم حذف جواب الشرط لتقدم القسم الدال عليه؛ ارتبطت (إن) الشرطية بلام القسم، فجاءت الجملة (ما تبعوا قبلك) كجواب لهذا الشرط. نعلم أن جواب الشرط لا يتعلق إلا بالمستقبل، وبالرغم من مجيء الفعل (تَبِعُوا) في الماضي، إلا أن دلالاته تشير إلى الاستقبال، وتقديره: ما يتبعون واللام: في "لئن"، هي التي تؤذن بقسم محذوف متقدم، فقد اجتمع القسم المتقدم المحذوف، والشرط متأخر عنه، فالجواب للقسم وهو قوله: (ما تبعوا)، ولذلك لم تدخله الفاء وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وهو منفي بما ماضي الفعل مستقبل المعنى: أي ما

<sup>1</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 35.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 82.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 72.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 145.

يتبعون قبلك؛ لأن الشرط قيد في الجملة، والشرط مستقبل، فوجب أن يكون مضمون الجملة مستقبلاً، ضرورة لأن المستقبل لا يكون شرطاً في الماضي وذلك نحو: لكن قمت لأقوم من 1.

❖ إن الغاية من هذا العدول هو الإشارة إلى أن هذا الأمر واقع لا محالة؛ أي أن كفرهم و عنادهم يمنعهم من إتباع الرسول ﷺ، وبالتالي سيخالفون حبينا محمد في كل شيء حتى في القبلة، ولن يغيروها أبداً، "﴿مَا تَبِعُوا﴾ جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط، ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق، ما تبعوا ﴿قِبَلَتِكَ﴾ لأن تركهم إتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة، إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ﴾ حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك، وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي نتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم. وقرئ: (بتابع قبلتهم) على الإضافة ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرحى اتفاقهم، كما لا عن ترجى موافقتهم لك. وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس. أخبر ﷺ عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه، فالحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان، والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده 2.

❖ جاء الفعل (تبعوا) في الماضي بدل المضارع لتنزيل الفعل منزلة المحقق؛ أي للإشارة إلى مدى عناد اليهود والتأكيد على عدم إتباعهم قبله الرسول ﷺ فمهما أتاهم بأدلة وحجج وبراهين أبوا تصديقه إتباعه، وأبوا تغيير قبلتهم إلى قبله حبينا المصطفى.

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبَيَّنُّوا فأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ 3، في البداية جاءت صيغة الفعل (يكتُمون) في المضارع، للإشارة إلى إصرار اليهود واستمرارهم في الكتمان، ثم عدلت صيغة الفعل من المضارع إلى الماضي في كل من (تابوا) و أصلحوا و (بَيَّنُّوا) للدلالة على أن رحمة الله و توبته ستسع الذين تحققت فيهم التوبة، والاصلاح، والتبيين

<sup>1</sup> ابن حيان، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، (د ط)، (د ت)، ج 4، ص 136.

<sup>2</sup> الرمحشري، تفسير الكشاف، ص 102.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 159، 160.

"وعبر في يكتمون بالفعل المضارع للدلالة على أنهم في الحال كاتمون للبينات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهم السامع أن المعني به قوم مضوا مع أن المقصود إقامة الحجّة على الحاضرين...]. وشرط للتوبة أن يصلحوا ما كانوا أفسدوا وهو بإظهار ما كتموه وأن يبينوه للناس فلا يكفي اعترافهم وحدهم أو في خلواتهم، فالتوبة هنا الإيمان بمحمد ﷺ فإنه رجوع عن كتمانهم الشهادة له الواردة في كتبهم، وإطلاق التوبة على الإيمان بعد الكفر وارد كثيرا لأن الإيمان هو توبة الكافر من كفره، وإنما زاد بعده وأصلحوا وبيّنوا لأن شرط كل توبة أن يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما أضاعه بفعله الذي تاب عنه"1.

❖ تتحدث الآية الكريمة عن أحبار اليهود الذين أخفوا و كتموا بعض الأمور منها صفة الرسول ﷺ وصدق نبوته لأنه لم يبعث من قومهم.

❖ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾2، فعبر بالفعل الماضي "تبرأ" مع أن الفعل لم يقع بعد، دلالة على تحقق وقوع البراءة3، أي: تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع، في حال رؤيتهم العذاب، وتقطعت الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والحاب والأتباع والاستتباع، كقوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾4.

❖ قال أبي الفداء: "تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في دار الدنيا، فتقول الملائكة: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾5، والجن أيضاً تبرأ منهم، ويتصلون من عبادتهم لهم"6. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾7 وإذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾8.

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص66.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 166.

<sup>3</sup> ينظر: محمد علوان ونعمان علوان، دراسات في البلاغة العربية، ص93.

<sup>4</sup> ينظر، الزمخشري، تفسير الكشاف، ص106.

<sup>5</sup> سورة القصص، الآية 63.

<sup>6</sup> أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، ص477.

<sup>7</sup> سورة الأحقاف، الآية 5،6.

❖ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾<sup>1</sup>، فعبر بالفعل الماضي "قال" مع أن فعل القول لم يقع بعد؛ دلالة على تحقق وقوع القول منهم يوم القيامة<sup>2</sup>.

❖ ومعنى قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: تمنى الاتباع لو أن لهم رجعة إلى الدنيا ليتبرؤا من هؤلاء الذين أضلوهم السبيل ﴿كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا﴾ أي كما تبرء الرؤساء من الاتباع في ذلك اليوم العصيب ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي أنه تعالى كما أراهم شدة عذابه كذلك يريهم أعمالهم القبيحة ندامات شديدة وحسرات تتردد في صدورهم كأنها شرر الجحيم ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أي ليس لهم سبيل إلى الخروج من النار، بل هم في عذاب سرمدي وشقاء أبدي<sup>3</sup>.

❖ وفي هذا دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص.

❖ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾<sup>4</sup>، وقوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ عطف على المضارع ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ داخل في حيز الانتظار، وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه؛ فكأنه قد كان، وواقع لا محالة، أي: وفرغ من الأمر الذي هو إهلاكهم<sup>5</sup>.

❖ "معنى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي: ما ينتظرون من شيئاً إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق-أي يأتيهم أمره وبأسه فهو على حذف مضاف إليه- حيث تنشق السماء وينزل الجبار ﴿عَلَى﴾ في ظلل من الغمام وحملة العرش والملائكة الذين لا يعلم كثرتهم إلا الله ولهم زجل من التسييح يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت.... ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: انتهى أمر الخلائق بالفصل بينهم فريق في الجنة وفريق في السعير، وإلى الله وحده مرجع الناس جميعاً.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 167.

<sup>2</sup> ينظر: محمد علوان ونعمان علوان، دراسات في البلاغة العربية، ص93.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص112.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 210.

<sup>5</sup> ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص136.

والمقصود تصوير عظمة يوم القيامة وهولها وشدتها وبيان أن الحاكم فيها هو ملك الملوك جل وعلا الذي لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه وهو أحكم الحاكمين"1.

❖ ابتدأت الآية باستفهام إنكاري ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ في معنى النفي بدليل مجيء إلا بعدها أي ما ينتظرون.

❖ وضع الظاهر موضع المضمرة:

❖ لحظ البلاغيون أن دراسة وضع الظاهر موضع المضمرة وعكسه، تتصل بباب المسند إليه لأنها من أحواله فألحقوها به2.

❖ قوله تعالى: ﴿قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا

كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾3، في قول الشوكاني: "فأنزلنا علي الذين ظلموا" هو من وضع الظاهر موضع المضمرة

لنكتة، كما تقرر في علم البيان وهي هنا تعظيم الأمر عليهم وتقييح فعلهم"4. ووضع اسم الموصول

محل الضمير "عليهم" العائد إلى الموصول الأول "الذين ظلموا"، للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع

وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لسخط الله وإنزال الرجز عليهم لغرض التوبيه

على علة الحكم5.

❖ حيثُ أمرُوا بقول حطة ومعناها "التوبة الاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمرُوا به، ولم

يتمثلوا أمر الله. وليس الغرض أنهم أمرُوا بلفظ بعينه، وهو لفظ الحطة، فجاؤوا بلفظ آخر، لأنهم لو

جاؤوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمرُوا به لم يؤاخذوا به، كما قالوا مكان حطة نستغفرك وتتوب

إليك، أو اللهم أعفوا عنا، وما أشبه ذلك. وقيل: قالوا مكان حطة حنطة، وقيل: قالوا بالنبطية حطا

سمقاتا، أي: حنطة حمراء، استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما

يشتهون من أغراض الدنيا"6، فحقوق عليهم العذاب بما قاموا.

1 الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص134.

2 محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص241.

3 سورة البقرة، الآية 59.

4 الشوكاني، فتح القدير، ص61.

5 ينظر: محمود السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، ص112-113.

6 ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ص78.

"وقد تقدم ذكرهم لأن في هذه الصلة ما يشير إلى استحقاقهم العذاب النازل عليهم، وفيه أيضاً توريد أنهم ظالمون، وهذا الأسلوب يرد في القرآن كثيراً ووراءه إشارات مستحسنة"<sup>1</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup>، كان مقتضى الظاهر أن يقال: "فلعنة الله عليهم" بالإضمار، لتقدم المرجع، لكنه عدل عن مقتضى الظاهر، وأظهر لفظ "الكافرين"، ليشعر بأن سبب حلول اللعنة هو كفرهم<sup>3</sup>.

❖ وتعني الآية ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ وهو القرآن العظيم الذي أنزل على خاتم المرسلين، مصدق لما معهم من كتبهم لا يخالفه، أي لما في التوراة ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي وقد كانوا قبل مجيئه يستنصرون به على أعدائهم ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان، الذي نجد نعته في التوراة، وقيل معنى يستفتحون: يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبياً يبعث منهم قد قرب أوانه، والسين للمبالغة، أي: يسألون أنفسهم الفتح عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ أي فلما بعث محمد ﷺ الذي عرفوه حق المعرفة كفروا برسالته ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي لعنة الله على اليهود الذين كفروا بخاتم المرسلين، والظاهر "فلعنة الله عليهم" وضعاً للظاهر موضع المضمرة للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم<sup>4</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>5</sup>، الجملة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ واقعة لجواب الشرط وجيء بها إسمية لزيادة التقييد لأنها تفيد الثبات ووضع الظاهر موضع الضمير فقال: ﴿عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ كان مقتضى الظاهر: أن يقال: "عدو لهم" بالإضمار، لتقدم ذكرهم في "من" المبهم، واسم كان المضمرة فيها، لكنه عدل عن مقتضى الظاهر وأتى بلفظ "الكافرين" محل الضمير، لتسجيل صفة الكفر عليهم وذما لهم بالكفر، فجاء بالظاهر

<sup>1</sup> محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص245.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 89.

<sup>3</sup> ينظر، محمود السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، ص123. -و الصابوني، صفوة التفاسير، ص78.

<sup>4</sup> ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص77،78. الزمخشري، تفسير الكشاف، ص86.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 98.

ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأنّ عداوة الملائكة كفر، وإذا كانت عداوة الأنبياء كفراً فما بال الملائكة وهم أشرف. والمعنى من عاداهم عاداه الله وعقابه أشدّ العقاب 1.

❖ وتبيننا أن عدوا الله، وملائكته ورسوله، لا يكون إلا كافراً، فقد جاء لفظ الجلالة "الله" ظاهر للتبني على عليّة الحكم 2، " لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ دون "فإنه".

❖ قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ 3، يلاحظ العدول عن الضمير الغائب في ﴿نَسَخَ﴾ و ﴿نَأْتِ﴾ إلى إظهار اسم الجلالة ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ وهو متوافق مع ما في الآية من إشارة إلى تغير الأحكام التي تحتوي عليها الآيات، وهو أمر عند العاقل أعظم من اختلاف الليل والنهار وسير الشمس والقمر، ومن ثم كان إظهار اسم الجلالة ترجمة للتعبير عن "«إذ هو الاسم العلم الجامع لسائر الصفات، القدرة على مثل هذه الأمور العظيمة ففي ضمنه صفة القدرة، فهو أبلغ في نسبة القدرة إليه من ضمير المتكلم المعظم، فلذلك عدل عن قوله "ألم تعلم أنا" إلى قوله: ﴿أَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ﴾ 4.

❖ يلمح أبي السعود تأسيساً على هذا ما يزيد هذا المعنى عمقاً؛ إذ يقرر أن فائدة هذا العدول هو تربية الروعة والمهابة في النفوس والإشعار بمناط الحكم، فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من الأحكام الألوهية 5.

❖ ومعنى قوله: ﴿نَسَخَ﴾ يقال نسخت الشمس الظل أي أزالته، أي ما تبدل من حكم آية فغيره بآخر أو ﴿نُنسِهَا﴾ - من أنسى الشيء جعله منسياً فهو من النسيان الذي هو ضد الذكر- يا محمد أي منحها من قلبك، ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ بما هو أنفع لكم في العاجل والأجل إما برفع المشقة عنكم، أو بزيادة الأجر والثواب لكم، فألم تعلم يا أيها المخاطب أن الله عليم حكيم قدير، لا يصدر إلا كل خير وإحسان للعباد!! . فكان سبب نزولها انه روي عن اليهود قالوا: ألا

<sup>1</sup> ينظر: محمود السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، ص112. / و الرمخشري، تفسير الكشاف، ص89. وينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص81.

<sup>2</sup> السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، ج3، ص217.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 106.

<sup>4</sup> ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص87.

<sup>5</sup> أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ص143. والصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص87.

تعجبون لأمر محمد؟! يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، فما هذا إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، يناقض بعضه بعضاً فنزلت ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾<sup>1</sup>.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup>، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>3</sup>، هم جالوت وجنوده، ووضع الظاهر موضع المضمرة إظهاراً لما هو العلة الموجبة للنصر عليهم وهي كفرهم، وذكر النصر بعد سؤال تثبت الأقدام لكون الثاني هو غاية الأول<sup>3</sup>.

❖ فكانت جمالية الخروج عن مقتضى الظاهر هنا عبر اظهار وتوضيح كلمة القوم "الكافرين" بدلاً من الضمير "عليهم" لتوضيح العلة الموجبة للنصر عليهم وهي الكفر.

❖ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾<sup>4</sup>، قد أعيد ذكر "إحداهما"، بدل الضمير "ها"، ولم يقل: فتذكرها. فجاء الاسم ظاهر بدل إضماره "مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التراكيب. وهذا ما يسميه علماء البلاغة "بالترصيع المعنوي". وقلما يوجد إلا نادراً في الكلام<sup>5</sup>. وجاءت "إحداهما" ظاهرة بدل إضمارها لغرض كونه أهم من الضمير.

❖ وفي هذا قال الزركشي: "وبيان ما ذكرت في الآية أنها متضمنة لقسمين: قسم الضلال، وقسم التذكير، فأسند الفعل الثاني إلى ظاهر حيث أسند الأول، ولم يوصل بضمير موصول، لكون الأول لازماً فأتى بالثاني على صورته من التجرد عن المفعول، ثم أتى به خيراً بعد اعتدال الكلام، وحصول التماثل في تراكيبه ولو قيل: إن المرفوع حرف؛ لكان أبلغ في المعنى المذكور، ويكون الأخير بدلاً أو نعتاً على وجه البيان، كأنه قال: "إن كان ضلال من إحداهما: كان تذكير من الأخرى" وقدم على

<sup>1</sup> ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 85.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 250.

<sup>3</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص 170.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 282.

<sup>5</sup> السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، ج 3، ص 219.

﴿الْأُخْرَى﴾ لفظ ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ ليسند الفعل الثاني إلى مثل ما أسند إليه الأول لفظاً ومعنى، والله أعلم"1.

❖ قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾2، تكرر لفظ الجلالة "الله" ومجيئه مظهر غير مضمَر، حين قال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كان لقصد التعظيم، وتقوية داعية المأمور وذلك من خلال قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾، ولم يقل أعلمكم تقوية لداعية المأمور بالتعلم بالتصريح باسم المعلم3.

❖ يعلم رب العزة عباده ويوصيهم أن يستشهدا إذا بيعوا الكفار ويُعلمهم أن عاقبة ترك ما أوصاهم فسوقٌ بهم

❖ وجلي أن وقوع الاسم الظاهر في غير موقعه يحدث في نفس المتلقي استغراباً وزيادة انتباه وتيقظ في الذهن، ثم إن المظهر يتضمن إثارة من التفخيم والتعظيم والتأكيد، لما فيه من وضوح الدلالة وقطع الاشتراك4.

❖ اعلم أنه متى طال الكلام حَسُنَ إيقاع الظاهر موضع المضمَر، كيلا يبقى الذهن متشاغلاً بسبب ما يعود عليه اللفظ، فيفوته ما شرع فيه،5 ونرى هذا الأسلوب يرد كثيراً في النظم الكريم ليحقق مقاصد وأهدافاً دقيقة.6

❖ قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾7، يقول الشوكاني: قوله ﴿مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ أظهر محل الإضمار للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم أو الإشعار بعلّة عدم التفريق بينهم"8.

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص611.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 282.

<sup>3</sup> ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص608.

<sup>4</sup> عيسى على العاكوب وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة، ص148.

<sup>5</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص614.

<sup>6</sup> بسبوني، علم المعاني، 266.

<sup>7</sup> سورة البقرة، الآية 285.

<sup>8</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص197.

❖ لما نزل قوله تعالى: ﴿لَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُورُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>1</sup>.

❖ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله فقالوا كلفنا من الأعمال ما لا نطيق: الصلاة الصيام والجهاد والصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها فقال ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: (سمعنا وعصينا) قولوا (سمعنا وأطعنا) فلما جرت على السنة القوم نزل قوله تعالى: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي صدق محمد ﷺ بما أنزل الله إليه من القرآن والوحي وكذلك المؤمنون ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي الجميع من النبي والأتباع صدق بوحداية الله، وآمن بملائكته ورسوله ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ أي لا نؤمن بالبعث ونكفر بالبعث كما فعل اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسل الله دون تفریق ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي أجبن دعوتك وأطعنا أمرك فنسألك يا الله المغفرة لما اقترفناه من الذنوب وإليك وحدك يا الله المرجع والمآب<sup>2</sup>.

❖ وضع المضمرة موضع الظاهر:

❖ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>3</sup>، فقوله: ﴿فَإِنَّهُ﴾ إضمار في مقام الإظهار، دلالة على التفعيل والتعظيم.

❖ ونحو هذا إضمار ما لم يسبق في ﴿نَزَّلَهُ﴾ وفيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته<sup>4</sup>.

❖ قال الشوكاني: "والضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهُ﴾ يحتمل، وجهين، الأول أن يكون الله، ويكون الضمير في قوله: ﴿نَزَّلَهُ﴾ لجبريل أي: فإن الله سبحانه نزل جبريل على قلبك، وفيه ضعف كما يفيد قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 284.

<sup>2</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 180-181.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 97.

<sup>4</sup> الريحشري، تفسير الكشاف، ص 88.

❖ الثاني أنه لجبريل، والضمير في ﴿نَزَّلَهُ﴾ للقرآن أي: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك، وخص القلب بالذكر؛ لأنه موضع العقل، والعلم"1.

❖ وفي كلا القولين إضمار في موضع الإظهار، لأنه لم يرد في السياق اسم ظاهر يعود عليه، سواء كان الضمير عائداً على الله جل وعلا، أو كان عائداً على جبريل2.

❖ قال ابن جرير الطبري: وأجمع أهل التأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً على اليهود إذا زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك؟ فقال بعضهم: إنما كان السبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ من أمر نبوته. وفي هذا دليل على شرف جبريل، وارتفاع منزلته، وأنه لا وجه لمعاداة اليهود له، حيث أنه لم يصدر منه إلا ما يوجب المحبة دون العداوة، أو من كان معادياً له، فإن سبب معاداته أنه وقع منه ما يكرهونه من التنزيل، وليس ذلك بذنب له3.

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾4، فقلوه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: خالدين في النار، ولم يجري لها ذكر، ولكنه يفهم من السياق.

❖ قال ابن عطية: "وقرائن الآية تقتضي أن هذه اللعنة مخلدة لهم في جهنم، فالضمير عائداً على النار، وإن كان لم يجري لها ذكر؛ لأن المعنى يفهمها في هذا الموضع"5.

❖ وجاء في تفسير الكشاف: "﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: الذين ماتوا من هؤلاء الكافرين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتاً. ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وفي الناس المسلم والكافر؟ قلت: أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون، وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً"6.

<sup>1</sup> الشوكاني، فتح القدير، ص78.

<sup>2</sup> ينظر: المحرر الوجيز، ج1، ص166. نقل من: راشد بن حمود الثبيان، من عادات القرآن، ص284.

<sup>3</sup> ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص78.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 161، 162.

<sup>5</sup> راشد بن حمود الثبيان، عادات القرآن الاسلوبية، ص284، 285.

<sup>6</sup> الرخشي، تفسير الكشاف، ص105.

❖ "وقوله: ﴿خلدين فيها﴾ تصريح بلازم اللعنة الدائمة فالضمير عائد على جهنم لأنها معروفة من المقام مثل (حتى توارت بالحجاب) (كلا إذا بلغت التراقي)، ويجوز أن يعود إلى اللعنة ويراد أثرها و لازمها. ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ أي: لأن كفرهم عظيم يصددهم عن خيرات كثيرة بخلاف كفر أهل الكتاب. والإنظار والإهمال، نظره نظرة أمهله، و الظاهر أن المراد ولا هم يمهلون في نزول العذاب بهم في الدنيا وهو عذاب القتل إذ لا يقبل منهم إلا الإسلام دون الجزية بخلاف أهل الكتاب " 1.

❖ قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>2</sup>، وهذه الحالة من باب نعم وبأس وما جرى مجراها فأصلها فنعم ما، أي: فنعم هو شيئاً مخصوص بالمدح أي الصدقات، ولما كانت كذلك لتعين أن تكون في موضع التمييز لضمير نعم المستتر والقصد منه التنبيه بعد الإبهام به لتشويق السامع فيزيل بعض الإبهام لمعرفة المخصوص بالمدح.

❖ "﴿إِنْ تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: إن تظهروا صدقاتكم فنعم هذا الشيء الذي تفعلونه ﴿وإن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ أي: وإن تخفوها و تدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأن ذلك أبعد عن الرياء. ﴿و يكفر عنكم من سيئاتكم﴾ أي يزيل بجيل أعمالكم سيء آثامكم. ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أي: هو سبحانه مطلع على أعمالكم يعلم خفاياكم، و الآية ترغيب في الإسرار"<sup>3</sup>.

❖ القلب:

❖ قد يكون القلب في كلمتين أو ثلاث، بحيث تدخل إحداها في الأخرى أثناء القلب، وكما ذكرنا فالقلب على نوعين قلب جزئي وقلب كلي، "والثاني أمثله من القرآن الكريم قليلة ونادرة وجاءت بالمصادفة البحتة ربّما، لأن التكلّف والتعمّل قد يكون بارزاً في هذا النوع، إلا ما جاء عفو الخاطر على السليقة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص:73.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 271.

<sup>3</sup> الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص182

<sup>4</sup> محمود إبراهيم الدعلان، البديع في القرآن الكريم أنواعه ووظائفه، ص158.

❖ قوله تعالى: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>1</sup>، فالقلب في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، وقيل الأصل وما تخدعهم إلا أنفسهم، لأن الأنفس هي المخادعة والمسؤلة، وُرد أن الفاعل في مثل هذا هو المفعول في المعنى، وأن التغيرات في اللفظ فقط، فعلى هذا يصح إسناد الفعل إلى كل منهما<sup>2</sup>. وهذا النوع من القلب يطلق عليه قلب الإسناد.

❖ قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>3</sup>، قلب الإسناد، هو أن يشتمل على الإسناد إلى شيء، والمراد غيره، وفائدته المبالغة.

❖ قال ابن الضائع: فأدام صلوات الله على نبينا وعليه وهو المتلقى للكلمات حقيقة، ويقرب أن ينسب التلقي للكلمات، لأن من تلقى شيئاً أو طلب أن يتلقاه فلقية كان الآخر أيضاً قد طلب ذلك، لأنه قد لقيه قال: ولقرب هذا المعنى قرئ بالقلب. يسمى هذا الأسلوب بتقدير المعنى<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 9.

<sup>2</sup> ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص808.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 37.

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص806، 807.

خاتمة

الحمد لله الذي أعاننا على إنجاز هذه الدراسة في استخراج - صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر - وتحليلها تحليلاً بلاغياً والوقوف على أسرارها البلاغية، متمثلةً في الالتفات بكل صورته، والأسلوب الحكيم، التعبير عن المفرد بصيغة الجمع، والتعبير عن الجمع بصيغة المفرد، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه، والتغليب، وكذلك وبعد هذا المشوار الطويل والممتع الذي تنقلنا فيه بين كتب البلاغة والتفاسير ومن هنا يجدر أن نسجل أهم ما وصلنا إليه من نتائج، وهي كالتالي:

- تمثلت صور الخروج في الالتفات والأسلوب الحكيم والتغليب..... وصولاً لأسلوب القلب .
- إن أسلوب الالتفات أخذ حيزاً كبيراً في سورة البقرة عن باقي الصور الأخرى لظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، لأنه من أجل علوم البلاغة، ومن الأساليب البلاغية المهمة التي تناولها علماء التفسير والبلاغة، وما يملكه من إيصال تلك المعاني العظيمة بأوضح صورة إلى ذهن السامع والقارئ.
- دراستنا لهذه الظاهرة كشفت عن الأسرار الجمالية التي من أجلها جاء الالتفات، وكذلك كل صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر من تغليب، وأسلوب حكيم....
- يكثر التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل في تفسير الأمور المهولة التي تثير الرعب في القلب وخاصة الغيب كمشاهد يوم القيامة أو العذاب، وذلك للتنبية على تحقيق وقوع الفعل، وأنه حاصل لا محالة.
- التغليب ظاهرة لغوية بارزة في القصص القرآني، ووردت في التراث اللغوي أيضاً.
- إن أول من جاء بتسمية واضحة للأسلوب الحكيم هو السكاكي -رحمه الله-.
- معظم التفاسير يحدد صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ولا يبين السر البلاغي الذي جاء من أجله.
- الخروج عن المقتضى في السياق هي من أبرز الظواهر الأسلوبية في التعبير القرآني، وأكثرها وروداً، وتمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

نوصي ونوجه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة البلاغة العربية والتخصص فيها لما في ذلك من إحياء للتراث وحفظ للغة، بالإضافة إلى أن هذا العلم من أشرف العلوم وأجلها، لارتباطها بكتاب الله سبحانه وتعالى.

ونوصي القائمين على دراسة اللغة العربية والمتخصصين في تدريسها بإكمال دراستنا التي تناولت "جماليات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة البقرة" لما تفيض به بالأساليب البلاغية، والأسرار الفنية.

قائمة

المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### -III- القرآن الكريم:

### -IV- المعاجم:

1. ابن منظور "أبو الفضل جمال الدين الإفريقي"، لسان العرب، الدار المصرية، مصر، (د ط)، 2010م.
2. بن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1995م.
3. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 1425هـ.

### -V- الكتب:

4. ابن حيان، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، (د ط)، (د ت).
5. ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار الطيبة، ط2، 1999م.
6. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، لمكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د ط)، 1992م.
7. ابو حفص، اللبان في علوم الكتاب، تح: عادل احمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1998.
8. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن للفراء، دار البشائر. دار الصديق، 2004م.
9. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د ط)، 2001م.
10. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيخه، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م.
11. أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
12. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، اسكندرية، (د ط)، (د ت)

13. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1996م.
14. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط)، 1117هـ.
15. الإمام أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
16. الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1984م.
17. بدر الدين بن المالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبدیع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب القاهرة، ط 1، 1989م.
18. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، (د ط)، 1406هـ.
19. بسيوني عبد الفتاح فيود، من بلاغة النظم القرآني، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، (د ط)، 1997م.
20. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998م.
21. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1995م.
22. الحافظ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، (د ط)، (د ت).
23. حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998م.
24. الخطيب القزويني جلال الدين محمد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003م.
25. خليفة بوجادي، خصائص التراكيب في بوابات النور، جامعة عبد الأمير عبد القادر، (د ط)، 2006م.
26. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط3، 2013م.
27. سيد قطب إبراهيم حسين الشازلي، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ.
28. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط1، 1985م.
29. شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1990.
30. صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، (د ط)، 2002م.

31. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981م.
32. ضياء الدين ابن الاثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ،
33. عبد الحميد فراج، أسلوب الالتفات دراسة تاريخية مبينة دار البيان، ط1، 1983م
34. عبد الحميد فراج، أسلوب الالتفات دراسة تاريخية مبينة، دار البيان، ط1، 1983م،
35. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط 1، 1996م.
36. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية " البديع والبيان والمعاني"، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 2009م.
37. عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: محمد عبد المنعم خفاجه، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م.
38. عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية "علم المعاني"، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط2، 1991م.
39. عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت).
40. على العاكوب - وعلى سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة "المعاني، البيان، البديع"، الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، (د ط)، 1993م.
41. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة "البيان، المعاني، البديع"، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1999م.
42. عيسى محمد أحمد القاسم محي الدين ديب، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني"، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003م.
43. الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، (د ت).
44. مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د ط)، 1992م.
45. محمد أبو الريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجمالية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت).
46. محمد أحمد نحلة، في البلاغة العربية "علم المعاني"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د ط)، 2002م.
47. محمد السيد شيخون، من أسرار البلاغة في القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1984م.
48. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، (ب ط)، 1984.

49. محمد الطاهر بن عاشور، موجز البلاغة، المكتبة العلمية، تونس، ط 1، 1932.
50. محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط 1، 1417هـ.
51. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف العُوش، دار المعرفة، بيروت، ط 4، 2007م،
52. محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت) ،
53. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، القاهرة، ط 1، 1997م.
54. محمد علوان : البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني، مجلة الزهراء، جامعة الازهر، ع 15
55. محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1998،
56. -محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لعلم المعاني، دار التضامن، القاهرة، ط 2، 1980م
57. محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1415هـ،
58. مسلم بن الحجاج، الصحيح، بيت الأفكار الدولية، الرياض، (د ط)، 1998م.
59. مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتحديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ط)، 2002م.
60. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر محمد الشيرازي البيضاوي، عبد الرحمن المرعشلي، تح: دار إحياء التراث العربية، بيروت، ط 1، 1418م
61. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الجليل، (د ط)، (د ت).
62. هينغل، المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال، تر: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1988م.
63. وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط 1، 2008م،

64. ومحمد علوان ونعمان علوان، دراسات في البلاغة العربية من القرآن " المعاني. البيان. البديع"، ط5، 2011م.

65. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

66. يحيى بن بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

67. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، (د ت).

68.

## VI - مجالات:

69. إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، مركز تفسير الدراسات القرآنية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ج1، 1-20- 2010م.

70. البشير جلول، التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية (مقال)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة. الجزائر، ع السادس، 2011م.

71. محمد الطاهري، جمالية الخبر والإنشاء "دراسة بلاغية جمالية نقدية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 08:05، 2009/12/31م، دمشق.

## VII - المذكرات:

72. إبراهيم محمود دعلان، البديع في القرآن أنواعه ووظائفه، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب، عبد الرحمن النجدي، اللغة العربية وآدابها، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002م.

73. راشد بن حمود الثنيان، عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، محمد بن سريع السريع، ط1، 2011م،

74. عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992م.

75. عويض بن حمود يوسف العطوي، جماليات النظم القرآني في قصة المرأودة في سورة يوسف، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د ط)، 2010م

فہارس

الصفحة	رقمها	الآية
<b>الفاتحة</b>		
101	من 1-7	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿۱﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿۲﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿۳﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿۴﴾ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿۵﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿۶﴾ ﴾
<b>البقرة</b>		
84	1	﴿ الم ﴿۱﴾ ﴾
138	4	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُؤْفِقُونَ ﴿۴﴾ ﴾
130	8	﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿۸﴾ ﴾
154	9	﴿ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿۹﴾ ﴾
95	14	﴿ وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿۱۴﴾ ﴾
98	21	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿۲۱﴾ ﴾
100	23	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿۲۳﴾ ﴾
111	26	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿۲۶﴾ ﴾
106	28-29	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿۲۸﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿۲۹﴾ ﴾
12	30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿۳۰﴾ ﴾
124	31	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿۳۱﴾ ﴾
124	34	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿۳۴﴾ ﴾
129	36	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿۳۶﴾ ﴾
154	37	﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿۳۷﴾ ﴾
125	41	﴿ وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ ﴿۴۱﴾ ﴾

		﴿فَاتَّقُونَ﴾
130	49	﴿وَإِذْ بَحَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾
107	54	﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
103	57	﴿وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
126	58	﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾
144	59	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾
107	60	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾
138	82	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
131	87	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾
104	87-88	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾
145	89	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾
132	91	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُرُومُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
151	97	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
145	98	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾
133	102	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾
146	106	﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
126	116	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾

134	127	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
135	142	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
139	145	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾
96	156	﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
140	159 - 160	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْلَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
152	161 - 162	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾
94	163	﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
141	166	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾
141	167	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُ لَوُكُنَّا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَكْبَرُ فَنَتَّبِرَ لِمَنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾
127	179	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
142	210	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾
135	212	﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
115	215	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ. وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
116	217	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا يُمَتِّمْهُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
118	219	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾
119	220	﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

120	222	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
128	233	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
147	250	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
82	255	﴿لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
148	282	﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّوْا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
149	284	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُوهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
30	167	﴿فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ﴾
<b>ال عمران</b>		
44	9	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
<b>النساء</b>		
50	64	﴿فَاسْتَعْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْحَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾
<b>المائدة</b>		
35	62	﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
<b>الانعام</b>		
61	151	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيَّكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
<b>الاعراف</b>		
61	من 59-62	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿﴾
<b>الانفال</b>		
38	19	﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾

التوبة		
29	35	﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَدُونُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ ﴾
34	117	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ فُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾
يونس		
47	2	﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحِمِّ ﴾
67	4	﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾
34	10	﴿ وَأَخِرُّ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
46	13	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ يَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾
62	20	﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾
51	21	﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾
47	22	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحِمِّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَكِنِ أَجْبَتْنَا مِنْ هُدَاهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾
هود		
24	37	﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾
يوسف		
34	90	﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
31	92	﴿ قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
مريم		
28	4	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾
62	20 و 21	﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا
28	36	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾
61	من 77- 80	﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ <u>﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾</u> <u>﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾</u> <u>﴿ وَنَزَّلْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَزْدًا ﴾</u>
61	89,88	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ <u>﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾</u>

<b>طه</b>		
29	18	﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾
46	72	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
76	94	﴿فَرَقَّتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
<b>الانبياء</b>		
77	33	﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
<b>الحج</b>		
36	46	﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
<b>المؤمنون</b>		
25	15	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾
26	16	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾
<b>الحجر</b>		
67	31-30	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾
26	16	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾
<b>النحل</b>		
12	6	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾
<b>الاسراء</b>		
41	25	﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾
48	111	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئَاءٌ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾
<b>النمل</b>		
76	28	﴿فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾
47	46-45	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
<b>الروم</b>		
47	46	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

<b>فاطر</b>		
48	9	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاہُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِہَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾
<b>یس</b>		
50	22	﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
<b>ص</b>		
40	من 1-6	﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَآلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾
<b>الزمر</b>		
70	68	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾
<b>الدخان</b>		
49	من 4-6	﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
<b>الحديد</b>		
28	14	﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرِيصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾
<b>الرحمان</b>		
		﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
	27-26	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
<b>المنافقون</b>		
23	1	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾
<b>التحريم</b>		
64	12	﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظَّالِمِينَ﴾
<b>الحاقة</b>		
41	2-1	﴿الحاقة ما الحاقة﴾
<b>المدثر</b>		

41	3	( وربك فكبر )
القيامة		
64	9	﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾
النبأ		
41	40	﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾
الغاشية		
58	20	﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
الكوثر		
51	2-1	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾
الاحلاص		
34	1	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوعات
	شكر وعرهان
	إهداء
	مقدمة
7	مدخل
8	I. البلاغة وعلومها
12	II. الجماليات "علم الجمال"
16	الفصل الاول
17	مفهوم خروج الكلام عن المقتضى الظاهر وعلاقته بمقتضى الحال
22	صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر
22	أولاً: ما يخص الاسناد الخبري (الخروج عن أضرب الخبر
24	1-تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر
25	2- تنزيل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه
25	3-تنزيل المنكر منزلة غير المنكر
27	أغراض القاء الخبر على خلاف الأصل
32	ثانياً: ما يخص المسند إليه و سائر أجزاء الجملة
32	1-الإضمار موضع الإظهار
35	أغراضه
37	2-الإظهار موضع الإضمار
37	أغراضه
44	3-الالتفات
44	أ-لغة

44	ب-اصطلاحا
47	3-1-فوائد الالنفات
49	3-2-صور الالنفات
56	4-الأسلوب الحكيم
56	أ-لغة:الأسلوب
56	ب-اصطلاحا
58	4-1-موقعه في البحث البلاغي
58	4-2-أقسام الأسلوب الحكيم
60	4-3-أغراضه
64	5-التغليب
64	أ-لغة
64	ب-اصطلاحا
65	5-1-أنواعه
70	6-التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
73	7-التعبير عن الماضي لفظ المستقبل
75	8-القلب
75	أ - لغة
75	ب - اصطلاحا
76	8-1-أنواع القلب
77	8-2-اضرب القلب
78	8-3-مواقف وانتقادات حول القلب
81	الفصل الثاني
82	أولاً: التعريف بالمدونة

82	I . : تسمياتها
84	II . ترتيب سورة البقرة وعدد آياتها
85	III . مدنية السورة
86	IV . فضائل السورة
90	V . محور السورة
92	ثانياً: خروج المسند - الخبر - عن مقتضى الظاهر
98	ثالثاً: حالات خروج الكلام في المسند إليه وكامل أجزاء الجملة
98	1. الالتفات
111	2. الأسلوب الحكيم
122	3. التغليب
130	4. التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل
137	5. التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
144	6. وضع الظاهر موضع المضمرة
151	7. وضع المضمرة موضع الظاهر
159	8. القلب
	خاتمة